

الكتابة التاريخية بالمغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي بين

التنوع والتطور

Historical writing in the Islamic Maghreb in the eighth century AH / fourteenth century AD between development and diversity

حنان محمد علي سويد*

كلية الآداب والتربية جامعة صبراتة / ليبيا

hanansweed284@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/01 تاريخ القبول: 2023/04/09

الملخص: تناولت هذه الدراسة موضوع الكتابة التاريخية بالمغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي بين التطور والابداع , وهناك جملة من الأسباب التي أسهمت في تطور وتنوع الكتابة التاريخية منها : ظهور ثقافة الرحلة إلى المشرق الإسلامي , واهتمام الحكام بتدوين التاريخ , إضافة إلى دور الهجرات الأندلسية في الدفع بعجلة التأليف المغاربي إلى الأمام .

ونظراً لما يمثل هذا الموضوع من أهمية رأت الباحثة تسليط الضوء على التدوين التاريخي في هذه الفترة والتركيز على أهم مواضيع الكتابة وأخذ عينات منها , تتمثل أهمية البحث في التركيز على أهم مؤلفات القرن الثامن الهجري والذي يعتبره البعض عصر تراجع للكتابة التاريخية ويراها آخرون عصر تنوع وتغيير في مسار الكتابة , ومن هنا تأتي أهمية البحث من خلال رصد وتتبع الدور الذي أحدثه مؤرخو هذا القرن من خلال مجهوداتهم في الكتابة وبخاصة أن هذا العصر يعتبر بصمة مميزة في فنون الكتابة المغاربية , أما الهدف منه فيتمثل في الإجابة عن بعض التساؤلات والتي من أهمها : ما أسباب تطور الكتابة التاريخية ؟ وهل هو عصر تراجع جزئي أم عصر ازدهار للكتابة ؟ ومن هم أكثر الفئات إنتاجاً ؟ وماهي أهم المواضيع التي حظيت بالدراسة , وسيتم الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي في سرد الحقائق ومن ثم تتبع المنهج التحليلي لاستنباط النتائج , وتوصي الباحثة بضرورة تسليط الضوء على موضوعات الكتابة التاريخية في القرن الثامن الهجري لأنها شهدت تنوعاً ملحوظاً عما سبقها .

كلمات مفتاحية: الكتابة التاريخية . المغرب الإسلامي . الرحلات العلمية . الهجرات الأندلسية . المؤرخين . أدب الرحلة . كتب التراجم والطبقات . كتب التاريخ السياسي .

Abstract: This study dealt with the subject of historical writing in the Islamic Maghreb in the eighth AH / fourteenth century AD between development and creativity. In view of the importance of this topic, the researcher considered shedding light on historical blogging in this period and focusing on the most important topics of writing and taking samples from them

- **The importance of the research and its objectives:** The importance of the research is to focus on the most important works of the eighth century AH, which some consider an era of decline in historical writing, and others see it as an era of diversity and change in the course of writing. Especially that this era is considered a distinctive imprint in the arts of Maghreb writing, and the aim of it is to answer some questions, the most important of which are: What are the reasons for the development of historical writing? Is it an era of partial decline or an era of prosperity for writing? Who are the most productive groups? What are the most important topics that have been studied?

- **Research Methodology:** The descriptive historical method will be relied upon in narrating the facts, and then following the analytical method to derive the results.

Keywords: Historical writing – books of biographies and classes – Andalusian migrations – scientific trips – Islamic Maghreb – historianspolitical history books – travel migrations –

● مقدمة:

تعتبر دراسة التاريخ وكتابته من أهم الصنائع والحرف منذ الأزل ، لأن التاريخ له فوائد عظيمة ومنافع كثيرة ، والكتابة التاريخية في بلاد المغرب الإسلامي تعتبر من المواضيع الجديرة بالبحث والدراسة لما تمثله من أهمية في حقل الدراسات التاريخية ، ومن هذا المنطلق تأتي أهمية هذه الدراسة والتي تسعى من خلالها الباحثة إلى تحقيق بعض الأهداف من أبرزها توضيح الأسباب التي دفعت بعجلة الكتابة إلى التنوع في القرن الثامن الهجري ، والوقوف على المواضيع التي نالت حظاً وافراً من التأليف ، وكذلك محاولة تغطية ملامح الكتابة في بلاد المغرب الإسلامي والفئات التي اشتغلت بالتدوين التاريخي ، معتمدة في ذلك على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي .

أهتم المؤرخون المغاربة في هذا القرن بالثراء العلمي ، وبحركة التأليف التاريخي ، وشهدت المؤلفات تنوعاً تاريخياً سواءً بالموضوعات أو الأسلوب والمنهج ، وقد اقتفوا في ذلك أثر المؤرخين الأندلسيون ، فجاءت الكتابات متنوعة بين كتب التاريخ السياسي وكتب التاريخ العام ، وتناول بعض الكتاب تاريخ المدن ، وتاريخ الشخصيات السياسية ، والأسر الحاكمة ، والأسر العلمية ، ثم تنوع الإنتاج ليشمل كتب التراجم والطبقات والقواميس والموسوعات ، وكتب الذيل والتكملة ، وقد كان لكتب الرحلات نصيب من الكتابات التاريخية ، والتي تعتبر مصدراً مهماً للباحثين ، فهي تحتوي على معلومات قيمة تخص مختلف الجوانب سواءً التاريخية أو العلمية والاقتصادية ، وقد حفلت بالعديد من الاخبار الاجتماعية .

ونتيجة للتنوع والتطور الذي شهده هذا القرن كان ذلك دافعاً لدراسة موضوع الكتابة التاريخية في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي للوقوف على اسباب تطور الكتابة التاريخية وتنوعها، ومحاولة الإجابة عن التساؤلات التي تم طرحها في ملخص البحث للوصول إلى نتائج تخدم موضوع البحث وتكون بداية لدراسات جديدة تسلط الضوء على فترة الكتابة التاريخية في هذا القرن .

وضعت الكتابات التاريخية على أساس إسلامي بحث، حيث نظمت على التقويم الهجري وفي ذلك دليل على أن عملية التدوين التاريخي الإسلامي نشأت مستقلة عن تواريخ الأمم الأخرى في موضوعاتها وفي تقويمها الخاص إذ تبلورت في إطار الإسلام نفسه ومن أجله في أسلوب فكري جديد وتقويم جديد، وقد سار معظم المؤرخين على هذا المنهج، وذلك لا ينفي تطور وتنوع أساليب الكتابة التاريخية عبر العصور الإسلامية المختلفة .

يعتبر تعريف ابن خلدون لعلم التاريخ جامعاً ونافعاً، بل يعتبر أدق ما كتب عن ماهية التاريخ حيث يقول: " اعلم أن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا " (1) ، وبذلك تكون فائدة التاريخ دراسة أحوال الأمم والأنبياء والملوك ، لأخذ العبرة ،

(1) مقدمة ابن خلدون - منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان - 2000 م - ص 17 .

ويضيف ابن خلدون في موضع آخر بقوله : " وفي باطنه [علم التاريخ] نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق " (1).

ومن ذلك تصبح وظيفة المؤرخ أو كاتب التاريخ نقل وكتابة المعلومة وتحليلها والتدقيق فيها، والوقوف على أسبابها لتعم الفائدة .

والتاريخ لا غنى عنه في جميع الأحوال الدنيوية والدينية، ولكل أمة تاريخ تعرف من خلاله أحداثها وتتعرف به على أزمنتها وتنفرد به عن بقية الأمم . (2) والتاريخ هو حوار بين الحاضر والماضي، لذلك كانت المتعة في الدراسة التاريخية، حيث يتحرى المؤرخ أن يكتب التاريخ على صورة تنفع معاصريه، وأخذ الأخطاء التي وقع فيها من سبقه ومحاولة تفاديها . (3)

ظهرت دعوات حديثة لتجديد دراسة التاريخ وكتابته، حيث يقول المؤرخ عبدالله العروي : " التاريخ كما نقرؤه هو رواية عن أحداث ماضية ، لكنه عندما نكتبه ونتأمله دراسة رموز قائمة حالياً ودالة عن تلك الأحداث ولا يهمنا هنا أن تكون الرموز بقايا مادية أو نقوشاً ، أو شهادات شفوية الخ " (4) وقد وصل الباحث إلى نتيجة جوهرية مفادها أن التاريخ ماضي حاضر نستنبطه من الرموز أيّاً كان نوعها لصناعة المؤرخ . (5)

أحدث ابن خلدون نقلة كبيرة في علم التاريخ ودراسته في القرن الثامن الهجري وبخاصة في المغرب الإسلامي، لذلك شهدت هذه الفترة نقلة نوعية في التدوين مصحوبة بتنوع في المادة التاريخية وأغراضها وقد أسهمت عدة أسباب في تنوع الكتابات التاريخية .

تنوع الانتاج المغاربي في الفترة الممتدة من الفتح العربي وحتى القرن الخامس الهجري، فقد اشتملت الكتابات التاريخية على كتب الأنساب في وقت مبكر، وتطورت في القرن الرابع الهجري، في حين حظيت إفريقية على النصيب الأكبر من كتب التاريخ المحلي في المرحلة الأولى، وتبعتها معظم مناطق المغرب الأقصى وحتى ليبيا شرقاً في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي حيث كانت فترة خصبة لكتابة التاريخ المحلي . (6)

شهد القرنان الثالث والرابع الهجريان / التاسع والعاشر الميلاديان وفرة في كتب التراجم والطبقات، حيث شملت تراجم العلماء والفقهاء ، وسير الحكام ، وما أن حل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي حتى شهدت الكتابة التاريخية نقلة نوعية ، حيث تم التركيز على كتابة

(1) - المقدمة - ص 18 .

(2) - تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . ج 2 . الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة . مصر . 2000 م . ص 250 .

(3) - حسين مؤنس . التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ ماهيته ومواضيعه ومذاهبه عند أهل الغرب . دار المعارف . القاهرة . 1984 م . ص 44 . 45 .

(4) - مجمل تاريخ المغرب . ط 2 . المركز الثقافي العربي . الدار البيضاء . المغرب . 2009 . ص 13 .

(5) - المرجع نفسه . ص 14 .

(6) - إبراهيم حركات . مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 هـ 15 م العلوم الإنسانية والعقلية . دار الرشاد الحديثة . الدار البيضاء . المغرب . 2000 م . ص 250 . 253 .

التاريخ المغربي كوحدة واحدة , واعتنى البعض بكتابة تاريخ المغرب والأندلس نتيجة للوحدة التي ارتبط بها القطران في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي في ظل الدولة الموحدية .⁽¹⁾

اطلق بعض المؤرخين المحدثين على القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين فترة النهضة الثانية في التدوين التاريخي الإسلامي نتيجة لظهور مؤرخين عظام أسهموا في كتابة مؤلفات تاريخية هامة مثل : ابن خلكان , والنويري , والمقريري , وابن خلدون , وابن القنفذ القسنطيني , وقد ترك هؤلاء بصمة مميزة في تطوير أسلوب الكتابة والمنهج والفكر والأسلوب حيث شملت كتاباتهم حياة الناس العامة فتحدثوا عن غلاء الأسعار وانتشار الأمراض والأوبئة إضافة إلى الأحداث التاريخية والسياسية .⁽²⁾

يتضح مما سبق عرضه أن الكتابة التاريخية في بلاد المغرب تطورت عبر مراحل متعددة وبخطى ثابتة , وقد أسهمت العديد من الأسباب في ذلك حتى وصلت إلى ذروتها في القرن الثامن الهجري , وكان لتعاقب الدول على حكم بلاد المغرب الدور المهم في تشجيع حركة التدوين , وقد وضع الموحدون اللبنة الأولى بتوحيد بلاد المغرب والأندلس , فأسهم أبناء القطرين في تعزيز الكتابة وتنوع أغراض التأليف .

1. عوامل ازدهار الكتابة التاريخية في القرن الثامن الهجري

1.1 أدب الرحلة : ارتبط تاريخ المغرب الإسلامي بالرحلة منذ زمن مبكر سواءً أكانت رحلات علمية أو سياحية أو سياسية , وقد أسهمت الرحلات في تطور الكتابة التاريخية في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي , حيث كانت مصر من المحطات المهمة لهؤلاء الرحالة والعلماء نظراً لمكانتها العلمية المهمة في تلك الفترة , فأخذ العلماء عن شيوخها , ونهلوا من معارفهم , وأسهموا في بناء تاريخ بلدانهم .⁽³⁾

غطت كتب الرحلات جوانب عديدة من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمغرب الإسلامي , وتجاوز البعض منها النطاق المغربي إلى تغطية أخبار المشرق الإسلامي⁽⁴⁾ , حيث احتوت كتب الرحلات بين طياتها أخباراً متعددة ووصفاً لبعض المعالم والمراكز العلمية والدينية , وقد ارتبط تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس بالرحلات نتيجة لحرص العلماء والفقهاء على السفر لأجل طلب العلم وبخاصة إلى مصر والعراق والحجاز , ومادة الكتب التي ألفها هؤلاء تعتبر حجر الأساس للعديد من الدراسات التاريخية وبخاصة في القرن الثامن الهجري لتنوع أغراض الرحلة بين الرحلات السياحية بهدف الحج والرحلات السياسية والدينية .⁽¹⁾

(1) . وفاء أحمد مصطفى . المؤلفات التاريخية ودورها في تعزيز الوحدة الوطنية بين المغرب والأندلس في ق 8.6 هـ / 12.14 م . مجلة كلية الآداب . الجامعة العراقية . عدد خاص بالمؤتمرات . 2019 . 2020 م . ص 695 .

(2) . فاروق عمر فوزي . التدوين التاريخي عند المسلمين . مركز زايد للتراث والتاريخ . العين . الإمارات العربية المتحدة . 2004 م . ص 275 .

(3) . منير رويس . التدوين التاريخي بالقيروان من القرن 2 إلى نهاية القرن 4 الهجري . المشكاة . العدد السابع . 2009 م . ص 142 .

(4) . مدخل إلى تاريخ العلوم بالغرب المسلم . ج 1 . ص 310 .

(1) . مدخل إلى تاريخ العلوم . ج 1 . ص 310 .

تباينت الفترات الزمنية التي استغرقتها الرحلات المغربية، فبعضها استمر الثلاث السنوات ، وبعضها تجاوز ربع القرن ، وقد دون الرحالة من خلالها مشاهداتهم عن المدن التي نزلوا بها ، وجمعت كتب البعض منهم بين التاريخ والجغرافيا والأدب كرحلة أحمد بن جبير الأندلسي (ت 614 هـ) ، ومن أشهر كتب الرحلة المغربية " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " لابن بطوطة (ت 779 هـ) وقد استغرقت رحلته سبعة عشر سنة .⁽²⁾

أصبحت الرحلات المغربية فناً قائماً بذاته ، حيث دون الرحالة مشاهداتهم بأسلوب مميز في سفر يشمل تاريخ الخروج والوصول إلى الأماكن مع وصف لمراحل السفر وكل ما يشاهدونه في طريقهم من منابع الماء ومواطن الكلا والعمران ، حتى وصولهم إلى مصر أو الحجاز لتلقي العلم أو لأداء فريضة الحج .⁽³⁾

أسهمت الرحلات من المغرب وإليه في الربط بين أجزائه من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال في صورة جسمت الحياة الفكرية والاجتماعية وبعض الظواهر السياسية ، وكانت بعض هذه الرحلات على صورة سفارات رسمية إلى أقاليم مثل مصر والشام شرقاً عبر المغارب الثلاث الجزائر وتونس وليبيا ، وقد نالت حظاً كبيراً أضيف إلى رصيد الرحلات الحجازية شمل الدراسات الوافية والإجازات العلمية التي أثرت في الفكر العربي .⁽⁴⁾

تميزت الرحلات العلمية المغربية بمميزات عامة وخاصة ، فمن العامة أنها لم تعتمد على الرواية ، والنقل فحسب بل اعتمد الرحالة التجربة والاختبار ، حيث قاسوا الطول والعرض للمساجد ، والمسافة بين المدن بالمراحل ، وتميزت هذه الرحلات بالوصف الجغرافي الدقيق وهذه الميزة قاسم مشترك بين الرحالة المغاربة ، فقد وصفوا الجبال والأنهار والبحار والمباني والقلاع والمساجد ، والآثار التاريخية ، ووصفوا أخلاق الناس وطباعهم ، وصحح البعض منهم الأخبار الخاطئة ، وأبدوا آراءهم وتصدوا للبدع والشائعات ، وسجلوا الأحداث التاريخية والسياسية بمصداقية .⁽⁵⁾

كانت الرحلات المغاربية إلى المشرق في عمومها أكثر من الرحلات المشرقية إلى المغرب ، نظراً لوجود الحج والمراكز العلمية الأولى في المشرق ، فيمم المغاربة وجوههم إلى المشرق قاصدين الحج وطلب العلم ، وكانت أعدادهم كثيرة ، وقد تركت الرحلة أثراً عظيماً في التراث المغربي والمشرقي .⁽⁶⁾

(2) . رحيم كاظم محمد الهاشمي . عواطف محمد العربي شنقارو . الحضارة والنظم الإسلامية دراسة في تاريخ النظم . الدار المصرية اللبنانية . المكتبة الجامعية . القاهرة . غريان ليبيا . 2002 م . ص 185 .

(3) . عواطف محمد يوسف نواب . الرحلات المغربية الأندلسية . مكتبة الملك فهد الوطنية . الرياض . السعودية . 1996 . ص 71 .

(4) . عبد العزيز بن عبد الله . الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ . دار نشر المعرفة . الرباط . المغرب . 2001 ف . ص 11 .

(5) . الرحلات المغاربية الأندلسية . ص 76 وما يليها .

(6) . نقولا زيادة . الجغرافية والرحلات عند العرب . دار الكتاب اللبناني . دار الكتاب المصري . بيروت . مصر . 1987 م . ص 167 .

ذكر ابن خلدون فوائد الرحلة في طلب العلم بقوله : " فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال " ⁽¹⁾ , فمن البديهي أن في الرحلة لطلب العلم فوائد فهي تنمي المواهب وتصلق ملكة الكتابة والتدوين عن طريق الاستزادة من الشيوخ ومجالسة الفقهاء والأدباء وهذه الميزة تميز بها الكتاب المغاربة حيث كانت الرحلة أحد روافد العلم .

تميزت الرحلات المغاربة بمميزات خاصة في تدوين المعلومات المتنوعة , فكان كل واحد منهم يسد النقص الذي وقع فيه سلفه , ويضيف إلى فن وأدب الرحلات لبنة جديدة تميزه عن غيره من الرحالة , فمثلاً كانت رحلة ابن جبير نموذجاً يحتذى به , حيث جمع بين الخصائص العامة والخاصة , ووضع ابن بطوطة الشكل النهائي للرحلة المغاربة والأندلسية بسعة اطلاعه وكثرة تنقلاته . ⁽²⁾

تنوعت أغراض الرحلات المغربية فخير من مثل الرحلة السياسية الدينية ابن بطوطة , أما الرحلات السياسية فتمثلها رحلة التجاني , ورحلة ابن الحاج النميري فيض العباب , وتمثلت الرحلة الثقافية العلمية في رحلة ابن رشد ملء العيبة , ولابن خلدون رحلة علمية في كتابه " التعريف بابن خلدون رحلته غرباً وشرقاً " ⁽³⁾.

تتجلى أهمية كتب الرحلات فيما تحتويه من مادة علمية تهتم المؤرخ والجغرافي وعالم الآثار وعالم الاجتماع وعالم الاقتصاد , وهي تمثل أسلوباً جديداً في الكتابة خالياً من الخيال إلا في حالات نادرة , فلذلك كان لهذه الكتب أهمية كبيرة . ⁽⁴⁾

يتضح مما سبق أهمية الرحلات المغاربة في التشجيع على التدوين وكتابة تاريخ المغرب الإسلامي بجميع نواحيه , حيث كانت الرحلات عاملاً مشجعاً ومساهماً في تطور فن الكتابة التاريخية منذ القرون الأولى للهجرة وتبلورت وبلغت أوجها في القرن 6 - 8 هـ / 12 - 14 م , ويمكن أن نستنتج أن الأوضاع السياسية وتنافس الحكومات في هذه الفترة كان له دور كبير في تشجيع الرحلة لطلب العلم .

1. 2 تشجيع الحكام : تميزت الفترة موضوع الدراسة بتصارع القوى السياسية في المغرب الإسلامي فيما بين المرينيين والحفصيين , وبني عبد الواد , كما وجدت أساطيل الجمهوريات الإيطالية والقطلونية وغيرها من الأساطيل الأوربية التي أصبحت تتحكم في تجارة الموانئ المغربية وتتنافس فيما بينها , ومع ذلك فقد كان هذا القرن حافلاً بالتطور الثقافي وبخاصة مع بلاد الأندلس . ⁽⁵⁾

شجع حكام بلاد المغرب الإسلامي حركة التدوين التاريخي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي , وتنافست الحكومات في تشجيع العلماء والفقهاء , وكانت دافعاً لكثرة وتنوع الكتابة التاريخية , حيث بدأت فئة من الكتاب تسعى إلى التقرب من الحكام أما طمعاً في تولي

(1) . المقدمة . ص 336 .

(2) . الرحلات المغربية والأندلسية . ص 88 وما يليها .

(3) . مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم . ج 1 . ص 312 .

(4) . الرحلات المغربية والأندلسية . ص 91 وما يليها .

(5) . مدخل إلى تاريخ العلوم . ج 1 . ص 144 .

مناصب حكومية أو ترقيات معينة .⁽¹⁾

بلغت إفريقية شأواً كبيراً في تشجيع العلماء وطلبة العلم بفضل دعم الحكام الحفصيين للعلم ، واهتموا بتأسيس المكتبات مثل مكتبة جامع الزيتونة و التي اشتملت خزائنها على نفائس الكتب بلغ عددها ستة وثلاثين ألف مجلد⁽²⁾، وتميز حكام بني حفص بميولهم إلى الأدب والتاريخ والتراجم ، وقد أولوا عناية كبيرة بشأن دولتهم .⁽³⁾

وجه حكام بني حفص عنايتهم إلى الاهتمام بجمع الكتب من خلال إنشاء المكتبات التي احتوت على آلاف المجلدات ، وقد أسهمت في نشر المعرفة في الأوساط الشعبية ومن أمثلتها مكتبة زاوية أولاد سهيل بصرمان بالبلاد الطرابلسية ، ومكتبة مدرسة المعروض بتونس وغيرها كثير⁽⁴⁾ ، وقد حظيت الدراسات التاريخية في العهد الحفصي بتشجيع أولي الأمر ، حيث حرص الحكام على تدوين الأحداث التاريخية المهمة من باب الاعتزاز والفخر ، وكانوا يكافئون خاطر الكتاب ذوي القلم والسيال ممن كتبوا أمجاد دولتهم ، وظهر في عصر المستنصر الحفصي فن التاريخ الرسمي ، ورائده الكاتب أحمد الغساني .⁽⁵⁾

حرص الحكام الحفصيون على تزويد الحواضر الرئيسية في تلك الفترة مثل تونس ، وبجاية ، وقسنطينة ، بالمكتبات ، وعملوا على تأسيس الزوايا والمدارس ، وتشجيع الحركة العلمية ، والمناظرات الفكرية ، فغدت هذه الحواضر من العواصم الثقافية الكبرى التي خرجت جيلاً من العلماء والكتاب .⁽⁶⁾

لم تكن الدولة المرينية بالمغرب الأقصى بمعزل عما يحدث من تطور في فن الكتابة التاريخية ، حيث اهتم سلاطينها بالكتاب والمؤرخين ، وكانت تربطهم به علاقات ودية وقوية وبخاصة ابن خلدون وابن الخطيب وابن مرزوق وقد راقب هؤلاء أحداث الدولة وسجلوها⁽⁷⁾، وقد حرص سلاطين الدولة على عقد المجالس العلمية والمناظرات الفقهية ، وكانوا يحرصون على إقامتها في كل الأوقات ويشجعون العلماء والأدباء ، والفقهاء

(1) . مدخل إلى تاريخ العلوم بالغرب المسلم . ج 1 . ص 76 .

(2) . أحمد بن عامر . الدولة الحفصية . دار الكتب الشرقية . تونس . 1972 م . ص 66 . 65 .

(3) . محمد ناجي بن مامي . مدارس تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني ق 7 هـ . 13 م . مجلة المؤرخ العربي . العدد 34 . ص 285 .

(4) . روبر بارنشفيلك . تاريخ إفريقية في العهد الحفصي . ج 2 . ترجمة : حمادي الساحلي . دار الغرب الإسلامي . بيروت . لبنان . 1988 . ص 384 .

(5) . أبو العباس أحمد بن الحسن بن علي بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - تقديم وتحقيق : محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التريكي - الدار التونسية للنشر . تونس - 1968 م . ص 331 .

(6) . رحمانى عائشة . رحمانى مريم - الحركة العلمية في الدولة الحفصية (625 . 981 هـ / 1227 . 1574 م) . كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة 8 ماي - قالمة - الجزائر - 2016 .

2017 م . ص 61 وما يليها .

(7) . محمد عيسى الحريري - تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني (610 . 869 هـ / 1213 . 1465 م) . ط 2 . دار القلم للنشر والتوزيع . الكويت . 1987 م . ص 346 .

ويقدر رجال العلم والفكر ويشجعونهم أمثال السلطان أبو يوسف⁽¹⁾، وأبو سعيد الأول⁽²⁾، حيث اهتم هؤلاء ببناء المدارس وتأسيس خزائن الكتب، والأنفاق على العلماء والطلاب مما كان له الأثر الكبير في تطور الكتابة.⁽³⁾

اهتم السلطان المريني يوسف بن يعقوب بتشجيع المؤرخين والكتاب، وقد أولى عنايته الخاصة بتدوين الأنساب ومن ذلك تقديره للمؤرخ أبي القاسم الملاحى الذي قدم إليه شجرة أنساب المرينيين أثناء حصاره لتلمسان⁽⁴⁾، كما قام يوسف بن يعقوب بتشجيع المناظرات والمجالس العلمية، وبناء المدارس التي انتشرت نتيجة لتأثرهم ببلاد المشرق الإسلامي⁽⁵⁾، وقد سار السلطان المريني أبو الحسن على نمط تشجيع العلماء في دولته فأجرى لهم الأرزاق، وكان مجلسه محاطاً بكبار العلماء، وقد استدعى ابني الإمام وأكرمهما وشاورهما فيما يخص بلدهما تلمسان أثناء الاحتلال المريني لها.⁽⁶⁾

شجع سلاطين بني زيان العلم وتدوين المؤلفات التاريخية وكتب الأنساب، والتراجم، وقد كانت المنافسة على أشدها بين سلاطين الدول الثلاث الحفصية والزيرية والمرينية في اختيار كبار الكتاب والأدباء والفقهاء، مثلما حدث مع أبي بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب الأندلسي الذي استقطبه يغمراسن بن زيان إلى تلمسان وطلبه المستنصر الحفصي للكتابة في الدولة الحفصية.⁽⁷⁾

شجع سلاطين بنو زيان العلم، حيث عملوا على بناء المدارس مثل مدرسة أولاد الإمام التي شيدها أبو حمو الزيري تكريماً لمجهوداتهم، والمدرسة يعقوبية، والتاشفينية وغيرها⁽⁸⁾، وقد أسهم هؤلاء السلاطين في تحرير العلماء والكتاب من الركود، فنشطت الحركة الفكرية بالعاصمة تلمسان، وأشرفوا على الدروس العلمية المتعلقة بالعقيدة والتاريخ، وتميزوا بالاجتهاد وحرية الفكر وصارت تلمسان من المراكز التي تستقطب العلماء وطلاب العلم.⁽⁹⁾

ظهرت العديد من الأسر العلمية التي حظيت بمكانة في دولة بني زيان من أهمها: أسرة بني الملاح، وكان القاضي أبو هدية

من الشخصيات

(1). علي بن أبي زرع الفاسي - الأنيس المطرب بروض القراطس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط - المغرب - 1972 م - ص 374 وما يليها .

(2). محمد بن مرزوق التلمساني - المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن - تحقيق: ماريا خيسوس بيجيرا - تقديم: محمود آغا بو عياد - موفم للنشر - الجزائر - 2011 م - ص 117 وما يليها .

(3). محمد المنوني - ورقات عن حضارة المرينيين - ط 3 - كلية الآداب - الرباط - المغرب - 2000 م - ص 236 .

(4). المسند الصحيح - ص 109 .

(5). علي الجزنائي - جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس - تحقيق: عبد الوهاب بن منصور - ط 2 - المطبعة الملكية - الرباط - المغرب - 1991 م - ص 80 وما يليها / نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرج - الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685 - 706 هـ / 1286 - 1306 م) - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة الموصل - العراق - 2004 م - ص 122 .

(6). المسند الصحيح - ص 265 / محمد الطمار - تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر - ديوان المطبوعات الجزائرية - الجزائر - 2007 م - ص 137 .

(7). لسان الدين بن الخطيب - الإحاطة في أخبار غرناطة - ج 2 - تحقيق وتقديم: محمد عبدالله عنان - مكتبة الخانجي - القاهرة - مصر - 1973 م - ص 426 وما يليها .

(8). محمد بن عبدالله التنسي - نظم الدرر والعقبان في بيان شرف بني زيان - تحقيق: محمود بو عياد - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1985 م - ص 139 .

(9). عبد العزيز فيلاي - تلمسان في العهد الزيري - ج 1 - موفم للنشر والتوزيع - الجزائر - 2002 م - ص 320 .

المقربة لدى السلطان أبي تاشفين الأول⁽¹⁾.

كان القرن الثامن الهجري في تلمسان عصر تفوق علمي وفكري نبغ فيه ثلة من العلماء والكتاب ، حيث كان السلطان أبو حمو الثاني عالماً وكاتباً تميز بكتابة الشعر والأدب ، وانتشر العلم في عصره انتشاراً لم يسبق له مثيل⁽²⁾ ، وله كتباً كثيرة من أهمها واسطة السلوك ولهذا الكتاب أهمية وقيمة تاريخية واجتماعية وأدبية ، وتمثل أهميته التاريخية في ما احتواه من معلومات تاريخية تبرهن عن فكره العالي ونقده الصائب ، حيث تحدث عن ضرورة تمتع الملك أو الحاكم بعقل راجح يصلح به دنياه وأمور دولته ، وضرب مثلاً لذلك الحجاج بن يوسف الثقفي وتوليته على العراق والذي استطاع بمهارته السياسية تدبير شؤون دولته⁽³⁾ ، كما ألف المؤرخ يحيى بن خلدون كتابه بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، وألف الحافظ التنسي كتابه التاريخي الأدبي نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان للسلطان الزياني محمد المتوكل⁽⁴⁾.

يتبين مما سبق أن حكام بلاد المغرب الإسلامي تنافسوا في تشجيع الكتابة بجميع تصنيفاتها ، وكرموا العلماء والكتاب والمؤرخين فكان القرن الثامن الهجري بيئة صالحة لظهور العديد من الكتابات التاريخية والتي سيتم تفصيلها في ثنايا البحث .

1. 3 : الهجرات الأندلسية : توافد الأندلسيون على بيئات المغرب الثلاث منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، واستمرت هجراتهم متواصلة ، وشملت هذه الهجرة العلماء والأدباء والكتاب ، وقد تبوأوا الصدارة وبخاصة على الصعيد العلمي⁽⁵⁾ ، وقد كان لتونس عاصمة الدولة الحفصية النصيب الأكبر من هذه الهجرات بحكم العلاقات الودية التي جمعت بين البلدين الأمر الذي أدى إلى استقرار العلماء والأدباء الأندلسيين بها⁽⁶⁾.

أسهم مهاجرو الأندلس ومثقفوها في النهضة الثقافية للدولة الحفصية، حيث كان بلاط الحكام يعج بالعلماء والأدباء والشعراء ، فكثرَت المناظرات العلمية والندوات الثقافية⁽⁷⁾.

(1) - يحيى بن خلدون - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - ج 1 - تحقيق : عبد الحميد حاجيات - المكتبة الوطنية - الجزائر - 1980 . ص 205 . 206 . الطاهر توات - شخصيات

تلمسانية أندلسية ومظاهر من الثقافة الإسلامية - دار الهدى - عين مليلة - الجزائر - 2011 م - ص 50 وما يليها .

(2) - أحمد بابا التنبكي - نيل الابتهاج بتطريز الديباج - تقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة - منشورات كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس - ليبيا - 1989 م - ص 257 - 269 .

(3) - عبد الحميد حاجيات - أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره - وزارة الثقافة - الجزائر - 2011 م - ص 266 .

(4) - نسرین عامر يحيى وأسماء بوشارب - الحواضر العلمية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط (ق 2 - 9 هـ / 8 - 15 م) - جامعة أكلي محمد أبجاح - البويرة - 2014 - 2015 م - ص 35 .

(5) - محمد رزوق - الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 - 17 م - ط 3 - مطابع افريقيا الشرق - الدار البيضاء - المغرب - 1998 م - ص 47 .

(6) - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - ص 112 / محمد عادل غبد العزیز - الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية - دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة - مصر - 2006 م - ص 225 .

(7) - الدولة الحفصية - ص 67 .

كان للجالية الأندلسية في تونس تأثير كبير، حيث نشطت الحركة العلمية بوجودهم، وتولوا مهمة التعليم بالحاضرة الحفصية، وقد تقلد بعض الأندلسيين مناصب سيادية في الدولة، حيث أشار ابن خلدون إلى أن الأندلسيين عبروا إلى أراضي المغرب وإفريقية وكان قصدهم إلى تونس أكثر وذلك لقوة الدولة الحفصية بها. (1)

ظهر العديد من المؤرخين الأندلسيين الذين اعتنوا بكتابة التاريخ وتدوين أخباره في إفريقية مثل ابن الأبار (ت 656 هـ / 1258 م) وابن سعيد الأندلسي (ت 685 هـ / 1286 م) واشتهر في القرن الثامن الهجري عبد الله ابن محمد بن عبد البر التنوخي (ت 737 هـ / 1336 م) والذي ألف كتاباً بحسب المنهج الحولي في ستة أجزاء. (2)

تمتع الأندلسيون ببلاد المغرب الأقصى بمكانة هامة بحكم العلاقات السياسية التي ربطت بين ملوك بني الأحمر في غرناطة وبني مرين بالمغرب الأقصى، فاستقبلت فاس النازحين من بلاد الأندلس، فوفدت العديد من الشخصيات التي أسهمت في تكوين الإرث الثقافي أمثال: الحسن بن الحسين التغلبي وقد كان (حيّاً في سنة 674 هـ / 1275 م) وكان متبحراً في التاريخ (3)، وأحمد بن محمد الخزرجي (ت 741 هـ / 1340 م) وإبراهيم بن عبد الله بن محمد النميري (ت 786 هـ / 1366 م). (4)

استقبلت مدن المغرب الأوسط في الفترة ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين / الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين أعداداً كبيرة من المهاجرين الأندلسيين وبخاصة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، وقد أولاهم سلاطين بني زيان عناية كبيرة، ومنحوهم الحق في السكن والملكية شأنهم شأن التلمسانيين دون تمييز، حيث أسهموا في تفعيل الحركة العلمية بتلمسان وخرجوا جيلاً من العلماء والأئمة شاركوا في التأليف وبرعوا في مجال الأدب والشعر والتاريخ والموسيقى. (5)

تعددت الأسر التي استقرت بالجزائر مثل أسرة آل العقباني وأسرة القرموني، وبني الملاح، وقد تركت هذه الأسر أثراً ثقافياً مهماً، وبرز العديد من الكتاب مثل العالم الجليل أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي والذي أخذ عنه العلامة عبد الرحمن بن خلدون وأخوه يحيى، والعالم الوزير لسان الدين بن الخطيب في عهد أبي الحسن المريني بتلمسان وقد اصطحبه معه عند مغادرته إلى فاس (6)، وقد كان أعظم المهاجرين الأندلسيين الذين نزلوا بمدينة تلمسان من بيوتات الأندلس وأعيانها، حيث استعان بهم بنو زيان في تسيير أمور

(1). العبر - ج 6 - ص 31.

(2). نيل الابتهاج بتطريز الديباج - ص 220 / الحركة العلمية في الدولة الحفصية - ص 96.

(3). الإحاطة في أخبار غرناطة - ج 1 - ص 480.

(4). إيمان بنت دحبل الله العصمي - العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن 3 هـ / وحتى سقوط غرناطة - رسالة ماجستير - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - السعودية - 2009 م - ص 215.

(5). فؤاد طوهارة - الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي - مجلة حوليات التراث - العدد 15 - جامعة مستغانم - الجزائر - 2015 - ص 161 / محمد الطمار - تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر - تقديم: عبد الجليل مرتاض - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 2007 م - ص 219، 220.

(6). بغية الرواد - ج 1 - ص 205 / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مريم - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان - نشره: محمد بن أبي شنب - قدم له: عبد الرحمن طالب - ديوان المطبوعات الجزائرية - الجزائر - 1986 م - ص 215 / محمد بن رمضان - باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان - ج 2 - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 2011 م - ص 67.

دولتهم وأجهزتها ، وكان لهم بصمة خاصة في التعليم والتدوين ، وجاءوا يحملون معهم كتبهم ومصنفاتهم فقلدهم سلاطين بني زيان خطط الكتابة والحجاجة (7)

يتضح مما سبق أن الهجرات الأندلسية قد أسهمت في تطور فن الكتابة التاريخية ، وعلوم الفقه والأدب ، حيث وجد هؤلاء المهاجرون العناية والدعم من حكومات المنطقة ، ووجدوا الأمن والأمان الأمر الذي انعكس على رقي الحضارة وتقدمها على كافة الأصعدة .

1. 4 : مظاهر الوحدة بين المغرب والأندلس : ارتبط تاريخ المغرب بالأندلس منذ الفتح الإسلامي للمنطقة نتيجة للوحدة السياسية التي جمعت بينهما وبخاصة خلال عصري دولتي الموحدين والمرينيين حيث صارت المنطقة وحدة واحدة جمعت بينهما الوحدة الدينية والسياسية ، وأصبحت حركة التأليف التاريخي تتميز بغزارة الانتاج ، وقد احتوت المؤلفات بين طياتها أحداث المغرب والأندلس ، مثل كتاب " معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار " لابن الخطيب وهو كتاب جغرافي تاريخي للمدن الأندلسية والمغربية (1) ، وكتاب " روضة النسر في دولة بني مرين " لابن الأحمر والذي تحدث فيه عن دولة بني مرين وبني زيان ، وتعرض فيه للواقع السياسي لبلاد الأندلس وعلاقتهم ببني مرين (2).

أولى بعض المؤرخين عنايتهم بدراسة كتب الطبقات في المغرب والأندلس في القرن 8 هـ / 14 م ، وكان كتاب " المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا " لأبي الحسن النباهي المالقي (ت 776 هـ / 1374 م) من الكتب التي تناولت القضاء من الفتح الإسلامي وحتى القرن الثامن الهجري ، اختص القسم الأول من الكتاب بالقضاء ومسائله ، أما القسم الثاني فقد ترجم فيه لطبقات من القضاة في المغرب والأندلس (3) ، هذه عينة من المؤرخين الذين اهتموا بكتابة التاريخ المغربي والأندلسي كوحدة واحدة ، ولم تقتصر الكتابة على هذا القرن فحسب ، بل هناك كتابات تاريخية سبقتها تناولت تاريخ المغرب والأندلس ، وقد شهد القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي العديد من الكتابات مثل كتاب " تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية " للزركشي (كان حياً في سنة 894 هـ / 1489 م) ويحتوي الكتاب على معلومات تاريخية هامة تخص الدولتين وهي ذات قيمة حضارية للمغرب والأندلس (4).

تأثر منهج الكتابة التاريخية في المغرب بجملة من العوامل منها : التكوين العلمي للمؤرخ ، وظروف العصر وطبيعة الحياة التي يعيشها ، فجاءت الكتابات تجسيداً للواقع الذي عاشوه وعاصروا أحداثه (5) ، ويبدو أن المعاناة التي عاشتها بيئات المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري وما ترتب عليها من ظروف سياسية صعبة وجهادهم ضد النصارى وسقوط مدن الأندلس واحدة تلو الأخرى

(7) - تلمسان في العهد الزياني - ج 1 - ص 178 .

(1) - الإحاطة في أخبار غرناطة - ج 1 - ص 43 - 57 .

(2) - أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي - روضة النسر في دولة بني مرين - تحقيق : عبد الوهاب بن منصور - ط 3 - المطبعة الملكية - الرباط - 2003 م - ص 44 - 131 .

(3) - أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي - تاريخ قضاة الأندلس - تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي - ط 5 - دار الآفاق الجديدة - بيروت - 1983 م - ص 13 وما يليها .

(4) - أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية - تحقيق : محمد ماضور - ط 2 - المكتبة العتيقة - تونس - 1966 م - ص 5 وما يليها .

(5) - المؤلفات التاريخية ودورها في تعزيز الوحدة بين المغرب والأندلس - ص 703 .

كانت عوامل أسهمت في تنوع الانتاج وتنوع المادة التاريخية ، وهي ذات أهمية للتاريخ بصفة عامة الإسلامي والعالمي ، ومن هنا يستنتج أن الشدة والمحن قد يتولد عنها أحياناً التفوق والابداع وهذا ما اثبتته المغاربة من خلال مؤلفاتهم المتنوعة في القرن الثامن وغيره من العصور الإسلامية .

كان للصراع المذهبي تأثير ايجابي على حركة التدوين والتأليف ، وتعدد المواضيع وتنوعها ، حيث تنافست المذاهب المنتشرة في بلاد المغرب على التعريف بمذاهبهم فأثروا الانتاج المعرفي وتعددت المصنفات ، ومن أبرز المذاهب شيوعاً المالكية ، حيث كتبوا بغزارة عن مذهب المالكية وعن الرد على المخالفين ومن كتاباتهم : كتاب " الجوابات " وكتاب " الحجة على القدريه " وكتاب " فضائل أصحاب مالك " ، كما سجل الإباضيون أخبار أئمتهم ومن أهم كتبهم : " أخبار الأئمة الرستميين " لابن الصغير .⁽¹⁾

كان لرواج الحركة الصوفية وتضلع بيئات المغرب في علوم الفلسفة في القرن الثامن الهجري دور يذكر في تزايد رصيد الكتابة التاريخية ، وبخاصة في تلمسان وفاس ، حيث احتلتا مركز الصدارة في العلوم العقلية في تلك الفترة ، ومن أهم مؤلفي ومفكري هذه العلوم : محمد بن عرفة التونسي ، ومحمد بن مرزوق التلمساني ، والشيخ خلوف المغيلي ، وابن البناء الأزدري⁽²⁾

يمكن القول إن كل هذه الظروف مجتمعة كانت أسباباً رئيسية في تقدم وازدهار حركة التدوين التاريخي في الفترة موضوع الدراسة ، ويتضح كذلك تأثير الوحدة التي جمعت بين بيئات المغرب الثلاث والأندلس على تنوع الانتاج ، وتطوره ، وكان لحكام الدول المغاربية الدور الأهم في تشجيع المؤرخين وبث روح التنافس بينهم حباً في تدوين وتوثيق التاريخ من جهة ومن جهة أخرى تسجيل أحداث دولهم من باب الفخر والاعتزاز ، ولا يمكن إغفال دور الرحلة في تطور فن الكتابة وصقله .

2 - اتجاهات الكتابة التاريخية : (أغراضها وأنواعها)

شهدت القرون الأولى بدايات الكتابة التاريخية في بلاد المغرب الإسلامي ، وقد تنوعت أغراضها ، حيث اعتنى المغاربة منذ وقت مبكر بمسألة الأنساب لتحديد هويات الأفراد والجماعات وحقوقهم ، وقد تطور هذا النوع من الكتابة في الفترة من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي واستمر تطوره حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي على يد ابن خلدون ضمن تاريخه الكبير العبر .⁽³⁾

كان للظروف التي طرأت على المشرق الإسلامي في الفترة ما بعد القرن السابع الهجري ، وما ترتب عليه من سقوط الخلافة العباسية على يد المغول في سنة 656 هـ / 1258 م وانتقال الكتابة في التاريخ من بغداد إلى الشام ومصر حيث أثرت هذه الأحداث على اتجاهات الكتابة التاريخية في المشرق والمغرب الإسلاميين ، وقد كان اغلب الذين كتبوا التاريخ من فئة الفقهاء والناس المتصلين بالدولة والمنخرطين في خدمتها .⁽⁴⁾

(1). إبراهيم التهامي - جهود علماء المغرب في الدفاع عن أهل السنة - مؤسسة الرسالة - بيروت - 2005 م - ص 125 / المؤلفات التاريخية ودورها في تعزيز الوحدة بين المغرب والأندلس - ص 704 .

(2). مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 398 .

(3). مدخل إلى تاريخ العلوم - ج 1 - ص 250 - 251 .

(4). التدوين التاريخي عند المسلمين مقدمة في دراسة ونشأة علم التاريخ - ص 263 .

احتلت كتب التاريخ السياسي مكانة كبيرة في بلاد المغرب الإسلامي , وكان لإفريقية النصيب الأكبر مثل أعمال الرقيق القيرواني , وكتاب لعيسى بن أبي المهاجر تحدث فيه عن فتوح إفريقية والمغاري في القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي⁽⁵⁾ , وفيما يخص كتب الأنساب والطبقات لمع أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم وكتابه " طبقات علماء إفريقية وتونس " , وكذلك المالكي وكتابه " رياض النفوس " .⁽⁶⁾

شهدت الكتابة التاريخية تطوراً في أغراضها وتنوعاً في مادتها منذ بدايات الكتابة والعناية بالتاريخ المغربي ما بين التأريخ للأنساب والطبقات , والفتوح والمغاري , وقد اعتنى البعض بكتابة التاريخ المغربي والأندلسي كوحدة واحدة جمعت بين القطرين , فكان ذلك إرثاً ورصيداً للمغرب في القرون الأولى , وتمثل الفترة من القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي وحتى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي مرحلة ازدهار وتنوع في الكتابة المغربية , ولا يستثنى من ذلك الكتابات المشرقية التي تعرضت لتاريخ المغرب حتى وإن كانت مختصرة . ويمكن تقسيم اتجاهات الكتابة المغربية في الفترة قيد الدراسة إلى ما يلي :

2 . 1 التاريخ السياسي : تعددت المصنفات التاريخية التي اهتمت بالتاريخ السياسي وتنوعت مواضيعها بين التأريخ لبلاد المغرب ببيئاته الثلاث مثل كتاب " العبر " لابن خلدون , وكتاب " البيان المغرب " لابن عذاري المراكشي , وكتاب " مفاخر البربر " لمؤلف مجهول , وقد اختص البعض بالتأريخ لأسرة حاكمة بعينها مثل كتاب " الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية " لابن القنفذ القسنطيني , وكتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " ليحيى بن خلدون , وكتاب " روضة النسر في دولة بني مرين " لابن الأحمر , وركزت بعض الكتب السياسية في هذا القرن على التأريخ لحاكم معين مثل كتاب " المسند الصحيح " لابن مرزوق التلمساني الذي تحدث فيه عن السلطان أبي الحسن المريني .⁽¹⁾

ومن الكتب السياسية الهامة التي تناولت التاريخ السياسي لبلاد المغرب وبخاصة في القرنين السابع والثامن الهجريين كتاب " المجموع " ويعرف كذلك بـ " المناقب الزروقية " لابن مرزوق الخطيب , والذي يحتوي على معلومات ومادة قيمة في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية وكذلك الاجتماعية , وجاءت مادته في عدة فصول وبأسلوب بسيط وميسر⁽²⁾ , ولم تقتصر الكتب التي تناولت التاريخ السياسي في هذا القرن على الأحداث التاريخية والسياسية فحسب بل تطورت الكتابة في الأسلوب وتنوعت المادة , حيث اعتنى البعض بكتابة وتدوين النصائح الخاصة بالملك ونظامه في صورة وصايا وبأسلوب علمي محكم مثل كتاب " واسطة السلوك

(4) . مدخل إلى تاريخ العلوم - ج 1 - ص 252 - 253 .

(5) . عبد الرحمن بن محمد الأنصاري - الدياغ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - تحقيق : محمد الأحمد أبو النور - محمد ماضور - ج 3 - المكتبة العتيقة بتونس , 1978 م , ص 36 .

173 .

(1) . مدخل إلى تاريخ العلوم - ج 1 - ص 254 / تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني - ص 346 .

(2) . تلمسان في العهد الزياني - ج 2 - ص 468 .

في سياسة الملوك " الذي ألفه السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني ، ويعتبر من الكتب المهمة لأنه صادر عن تجربة سياسية في حكم دولة بني زيان .⁽³⁾

ووجدت كتب أخرى تناولت السياسة مثل كتاب المقرئ الجد (ت 759 هـ) " طلعة المملكة " ⁽⁴⁾ ، وكتابي ابن مرزوق الجد " الإمامة " و " إيضاح المرشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد " .⁽⁵⁾

يعتبر المؤرخ أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية (ت 735 هـ) من أبرز مؤرخي المغرب الأوسط ، وهو كاتب ملم بالوثائق ، وقد أنشأ ديوان الرسائل في عهد السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول ، وكتابه في التاريخ السياسي بعنوان " تاريخ تلمسان " ⁽⁶⁾ ، وقد كان كتاب " زهرة البستان في دولة بني زيان " لمؤلف مجهول من الكتب التاريخية السياسية ، وبقي منه السفر الثاني الذي يتناول شخصية أبو موسى حمو الثاني ، ويحتوي على أخبار مفصلة عن الدولة الزيانية والدول المجاورة .⁽⁷⁾

وكان لإفريقية نصيب من كتب التاريخ السياسي ومن أهمها : كتاب " الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية " لابن القنفذ القسنطيني ، ويحتوي الكتاب على حقائق وأحداث تاريخية هامة مرتبة بحسب السنين منذ نشأة الدولة الحفصية إلى تاريخ الانتهاء من تأليف الكتاب في أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي وتحديداً في سنة 806 هـ / 1403 م وقد كان ابن القنفذ على صلة بالحكام الحفصيين ، واشتغل بمهنة الخطابة وتولى القضاء والفتيا .⁽¹⁾

ويعتبر كتاب " الدولتين الموحدية والحفصية " لأبي عبد الله بن محمد الزركشي من الكتب ذات الفائدة التاريخية ، حيث تناول التاريخ السياسي للدولتين ، وقد خصص جزءاً من كتابه لعلماء الشريعة الإسلامية الدين ورجال القضاء ، واهتم بالحديث عن الحياة الفكرية والإدارية في دولتي الموحدين والحفصيين .⁽²⁾

يعد ابن خلدون من مؤلفي ومفكري القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، ويعتبر كتابه " العبر " خير مثال للتاريخ السياسي كوحدة واحدة ، وقد خصص المقدمة للحديث عن كتابة التاريخ ، وأسباب تقلب الدول وأعمارها ، والفرق بين أهل البدو والحضر ، وتعد المقدمة من المصادر الأساسية للعلوم الاجتماعية ⁽³⁾ ، وتتجلى أصالة كتاب العبر وتجديده لعلم التاريخ في منهجه العلمي ، وعقليته الناقدة .⁽⁴⁾

(3) - أبو حمو موسى الزياني - واسطة السلوك في سياسة الملوك - مطبعة الدولة التونسية - تونس - 1279 هـ .

(4) - محمد بو شقيف - تطور العلوم - ص 238 .

(5) - عادل نويهض - معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر - مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف والترجمة والنشر - بيروت - 1980م - ص 290 .

(6) - بغية الرواد - ج 1 - ص 116 .

(7) - مؤلف مجهول - زهرة البستان في دولة بني زيان - (760 . 764 هـ / 1395 - 1363 م) تحقيق : محمد بن أحمد باغلي - ط 2 - الأصالة للنشر والتوزيع - الجزائر - 2012 م - ص 7 وما يليها .

(1) - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - ص 415 وما يليها - تاريخ إفريقية في العهد الحفصي - ج 2 - ص 414 .

(2) - تاريخ إفريقية في العهد الحفصي - ج 2 - ص 415 .

(3) - ينظر المقدمة - ص 117 وما يليها .

(4) - أنور محمد زنتي - مصادر تاريخ المغرب والأندلس - دار سحر - المغرب - 2008 م - ص 50 .

اهتم الإمام والخطيب عبد الله بن محمد بن عبد البر التنوخي (ت 737 هـ / 1337 م) بكتابة التاريخ العام ، وله كتاب في التاريخ بحسب السنين ، يشتمل على ستة مجلدات ⁽⁵⁾ ، وفيما يخص ليبيا في هذا القرن فإنها لم تحظ باهتمام الرحالة والمؤرخين في توثيق أحداثها باعتبار إنها كانت تتبع إفريقية ، ولكن وجدت بعض الإشارات البسيطة التي تدل على رواج الحركة العلمية بها من خلال حرص بعض أبنائها على نشر المعرفة بين الطلاب ومن أبرز مؤرخي هذا القرن أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الهوراري (ت 760 هـ / 1359 م) وقد تلقى تعليمه عن الشيخ أبي البركات بن أبي الدنيا الصدي من علماء القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وقد تولى مهمة القضاء في طرابلس ثم أرسل الخليفة أبو أسحاق الحفصي في طلبه فذهب إلى تونس ⁽⁶⁾ .

حظيت كتب التاريخ السياسي بأهمية كبيرة لدى مؤرخي المغرب الأقصى ، ويعتبر ابن عذاري المراكشي (كان حياً في نهاية ق 7 هـ / 13 م) وكتابه " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " من أبرز مؤرخي هذا القرن ، ويحتوي كتابه على معلومات سياسية وتاريخية قيمة تخص القطرين ، ومن الكتب التي تناولت التاريخ السياسي كتاب " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " لابن أبي زرع الفاسي ⁽⁷⁾ ، ومن بين الذين تألقوا بكتاباتهم المتنوعة في هذا القرن لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ / 1374 م) وتعد كتاباته وثائق مهمة تخص التاريخ المغربي السياسي والدبلوماسي ومن أهمها : " أعمال الأعلام " و " الإحاطة في أخبار غرناطة " و " نفاضة الجراب في علالة الاغتراب " و " معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار " وغيرها ، وقد تناولت هذه الكتب تاريخ منطقة المغرب ووصفاً لبعض المدن المغربية ، واشتملت هذه الكتب على بعض مظاهر الثقافة والاقتصاد والعمران ، وبعض النواحي الاجتماعية ، وعالج في كتابه أعمال الأعلام التاريخ العام وتاريخ دول الإسلام الأولى مثل : الأمويون والعباسيون ⁽¹⁾ ، وقد نظر ابن الخطيب للتاريخ على أنه تاريخ يهتم بالحياة الاجتماعية والاقتصادية

والعمرانية ، وليس مجرد سرد لوقائع التاريخ والسياسة وسير الحكام والساسة ⁽²⁾ .

يتبين مما سبق عرضه تنوع الكتابة في التاريخ السياسي في الفترة قيد الدراسة في بيئات المغرب الثلاث ، حيث تنافست الدول المغاربية في تشجيع المهتمين بكتابة التاريخ وتدوينه ، فكان لذلك الدور المهم في تنوع الانتاج ، فجاءت كتب التاريخ السياسي متعددة الأغراض منها ما اختص بالحكام وسياستهم ، ومنها من تناول تاريخ الدول المغربية ، وركز البعض على تأليف الكتب السياسية لعلاقة

(5) . نيل الابتهاج بتطريز الدياج - ج 1 - ص 220 / الحركة العلمية في الدولة الحفصية - ص 97 .

(6) . أحمد النائب الأنصاري - فحات النسرين والرياحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان - تحقيق : علي مصطفى المصراي - منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - د . ت . ص 96 . 97 .

(7) . نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي - الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685 . 706 هـ / 1286 . 1306 م) رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة الموصل - العراق - 2004 م - ص 153 .

(1) . مصادر تاريخ المغرب والأندلس - ص 43 .

(2) . المؤلفات التاريخية ودورها في تعزيز الوحدة بين المغرب والأندلس - ص 699 .

السياسة بعلم التاريخ , وكان هذا النوع الأخير من الكتب نابغاً عن تجارب في الحكم والسلطة , وقد أضافت هذه الكتب المتنوعة مناهج جديدة لنظرية ابن خلدون في العمران وعلم الاجتماع , وكذلك دعمت الوحدة السياسية والدينية بين بلدان المغرب والأندلس .

2. 2 كتب الطبقات والتراجم : الطبقات مجموعة من التراجم , تكتب بالعشرات وما فوقها , وترتب كل طبقة ضمن حقبة زمنية محددة أو لاعتبارات علمية , وبعض كتب الطبقات تحمل اسم " السير " بخاصة عند الأباضية مثلاً أما التراجم فهي ترتب أبجدياً في الغالب وتعرف بكتب المناقب أو سير الصالحين والسيوخ⁽³⁾ , وتعتبر التراجم جزءاً من المؤلفات التاريخية , وتختلف هذه الكتب عن بعضها من حيث موضوعاتها وأسلوبها , ولكنها يجمعها قاسم مشترك وهو تاريخ وفيات الأعلام والأشخاص المترجم لهم , وقد تطورت بدرجة كبيرة بداية من القرن السادس الهجري , ويجمع بعضها بين التراجم السياسية والأدبية مثل كتاب " الوزراء والكتاب " للجهشياري (ت 331 هـ) .⁽⁴⁾

من أبرز كتب التراجم والطبقات في بلاد المغرب كتاب " عجلة المستوفى المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ ومن أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز " لابن مرزوق الجد الخطيب (ت 781 هـ / 1380 م) وهو عبارة عن توثيق وثبت بأسماء السيوخ الذين سمع عنهم والبالغ عددهم حوالي الألفين من الفقهاء والقضاة والعلماء .⁽⁵⁾

يشير روبر بارانشفيك إلى أهمية تراجم الأولياء والعلماء , ويربط بينهم وبين التاريخ , ويحدد تفوق وازدهار هذا النوع من الكتب في القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط بسبب تزايد دور الحركات الصوفية , الأمر الذي أدى إلى تعدد كتب المناقب التي تسرد فضائل الأولياء وكراماتهم , وهي تخلو من المنهج النقدي ولكنها تحتوي بين طياتها معلومات ذات قيمة على الأصعدة كافة .⁽⁶⁾

ويعتبر كتاب " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان " لأبي القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت 839 هـ / 1435 م) من أضخم كتب المناقب والذي يتضمن أربعة أجزاء مرتبة زمنياً تحتوي على تراجم رجال الدين الذين وجدوا في مسقط رأسه القيروان وحتى بدايات القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي .⁽¹⁾

ومن المؤرخين الذين اعتنوا بكتابة التراجم في هذا القرن ابن القنفذ القسنطيني وله كتاب بعنوان " الوفيات " وقد تضمن تراجم قصيرة للعلماء مرتبة بحسب القرون تشتمل على تاريخ وفياتهم , كما يعد كتابه " أنس الفقير وعز الحقيير " من أشهر كتب التراجم تعرض فيه لحياة أبي مدين الصوفي الشهير (ت 787 / 1350) , وله كتاب في الأنساب بعنوان " تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد " وقد عالج فيه قضية النسب بعد سقوط دولة الموحدين .⁽²⁾

(3) . مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 268 .

(4) محمد أحمد ترحيني - المؤرخون والتاريخ عند العرب - دار الكتب العلمية ودار الريف - بيروت - د . ت - ص 167 / عبد الرحمن حسين العزاوي - التاريخ والمؤرخون - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - م 1993 - ص 40 .

(5) محمد المنوني - المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث - ج 1 - مؤسسة نبشره للطباعة والنشر - الدار البيضاء - 1983م - ص 96 .

(6) تاريخ إفريقية في العهد الحفصي - ج 2 - ص 401 .

(1) - المرجع نفسه والجزء - ص 402 .

(2) محمد قويسم - ابن القنفذ القسنطيني ومنهجه في كتابة التاريخ - حولة قائمة - العدد السابع - الجزائر - 2013 م - ص 237 .

ويعد كتاب " الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة " للسان الدين بن الخطيب , من الكتب المهمة , حيث ترجم فيه لحوالي مائة وثلاثة علماء وقضاة بحسب الطبقات , طبقة العلماء والخطباء والصوفية وطبقة القضاة , وطبقة الشعراء والكتاب.³⁾ وهذا دليل على تعدد مناهج كتب التراجم والطبقات فهناك كتب بحسب المنهج الحولي أو الزمني وكتب بحسب الطبقات الأمر الذي يدل على تعدد وتنوع الكتابة في هذا العصر .

يعتبر كتاب " المناقب الزروقية الذي تمت إليه الإشارة سابقاً من كتب المناقب والطبقات , ويحمل بين دفتاه أخباراً سياسية واجتماعية واقتصادية وترجمة لأسرة ابن مرزوق الجد .⁴⁾

تعددت اختصاصات كتب التراجم في القرن الثامن الهجري , فقد ركز البعض على التعريف بأسر معينة مثل كتاب " روضة النسرين في دولة بني مرين " لمؤلفه ابن الأحمر (ت 807 هـ / 1404م)⁵⁾ , ويحتوي الكتاب على أسماء ملوك بني مرين وألقابهم وأنسابهم , وتاريخ ميلادهم ووفياتهم وتطرق إلى أوصافهم وأخلاقهم ورجال دولتهم , ويعتبر بمثابة سجل حصر للدولة المرينية , ويبرز هذا الكتاب الصراع العنيف بين الدولتين المرينية والزيانية .⁶⁾ لذلك يعد الكتاب في وجهة نظر الباحثة من كتب التراجم لأن القسم الأكبر منه على الرغم من صغر حجمه يتناول ترجمة لملوك المرينيين وأبنائهم .

اهتم عدد من المؤرخين في عصر دولة بني مرين بتأليف كتب السير والتراجم مثل أبي عبد الله الزرعي السبتي , وله مؤلف ضخيم يقع في أربعين سफراً رتبته على حروف المعجم اللغوي يتضمن أخبار العلماء والأدباء والتعريف بهم⁷⁾ , ويتضح مما سبق أن كتب التراجم والطبقات نالت نصيباً كبيراً من الانتاج في هذه الفترة .

2. 3 : تاريخ المدن : ازدادت أهمية الكتابة في تاريخ المدن منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي , وأخذت في التطور لأسباب اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية⁷⁾ , وقد عبر بعض المؤرخين عن ضرورة اهتمام المؤرخ بكتابة وتسجيل أحداث مدنهم وأقاليمهم قبل أي اعتبار آخر .⁸⁾

من أهم المؤلفات التاريخية التي تناولت تاريخ المدن في الفترة قيد الدراسة كتاب " تلمسان " لابن هدية القرشي التلمساني , والذي تحدث فيه

³⁾ . مصادر تاريخ المغرب والأندلس - ص 44 .

⁴⁾ . ينظر إلى هذا البحث - ص 14 .

⁵⁾ . مصادر تاريخ المغرب والأندلس - ص 16 .

⁶⁾ . إسماعيل بن الأحمر - روضة النسرين في دولة بني مرين - المطبعة الملكية - الرباط - 1962 - ص 3 وما يليها .

⁷⁾ . تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني - ص 346 .

⁷⁾ . مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 276 .

⁸⁾ . التاريخ والمؤرخون - ص 39 .

عن تاريخ مدينة تلمسان⁽¹⁾، وكتاب " تاريخ مراكش " لابن أبي زيد محمد بن عبد الرحمن القسنطيني المعروف بالمراكشي⁽²⁾، وكتاب " جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس " لعلي الجزنائي (ت 8 هـ / 14 م)⁽³⁾، ويحتوي هذا الكتاب على باين، باب في ذكر من أسس المدينة، والثناء عليها وعلى سكانها، وعلمائها، أما الباب الثاني فهو وصف لأسوار المدينة والزيادات التي حدثت بها، وذكر لجوامعها، ودورها، وحماماتها⁽⁴⁾.

خصص ابن أبي زرع الفاسي جزءاً من كتابه روض القرطاس للحديث عن تاريخ مدينة فاس، حيث وصف أبنيتها ومساجدها بداية من دولة الأدارسة، كما أفرد جانباً من كتابه للحديث عن طبيعة المدينة وأشجارها المثمرة والبساتين الكثيرة⁽⁵⁾.

2. 4 : كتب الرحلات : شهدت الرحلة نشاطاً ملحوظاً عبر التاريخ الإسلامي وتعددت بواعثها، فكانت الرحلة بغرض الفتوح، والرحلة لطلب العلم والحديث، والرحلة لغرض الاستكشاف⁽⁶⁾، وتعتبر كتب الرحلات من الكتب المصدرة المهمة التي تحتوي على معلومات متعددة المجالات منها التاريخي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، ومن المتعارف عليه أن أغلب الرحالة المغاربة كانت مقاصدهم من الرحلة هي الحج وطلب العلم، ومع ذلك تطرقوا إلى وصف الأماكن التي مروا بها، فجمعت كتبهم بين برنامج وتراجم الشيوخ والعلماء و الوصف الجغرافي والعمراني⁽⁷⁾.

تميز القرن الثامن الهجري بتنوع وتعدد أغراض الرحلات المغربية، واصبحت فناً قائماً بذاته، ومن أشهر الرحالة في هذا القرن قاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت 730 هـ / 1329 م) ورحلته بعنوان " مستفاد الرحلة والاعترا ب "، وقد شملت رحلته الأندلس وبلاد لمشرق، ويشتمل كتابه على ثلاثة مجلدات فيها فوائد كثيرة وبخاصة الحديث وفنونه، وقد أخذ عنه أبو عبدالله الرعيني⁽⁸⁾.

تعتبر رحلة التجاني لصاحبها أبو محمد عبدالله محمد أحمد التجاني (ت 717 هـ) من الكتب المهمة للتاريخ المغربي، يتناول في رحلته النظم السياسية للدولة الحفصية، كما تحتوي الرحلة على معلومات قيمة عن النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للأقاليم التابعة للدولة الحفصية بما فيها طرابلس، وذكر في رحلته عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء، وآثاره تتعلق بعدة فنون وبخاصة الأدب والحديث وفن الرحلات، وتعتبر رحلته مصدراً لا غنى عنه للباحثين⁽⁹⁾.

(1) - العلوم الاجتماعية بالمغرب الأوسط - ص 277.

(2) - مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 276.

(3) - مصادر تاريخ المغرب والأندلس - ص 27.

(4) - جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس - ص 3 وما يليها.

(5) - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - ص 44 وما يليها.

(6) - محمد الحبش - المسلمون وعلوم الحضارة - دار أفنان للنشر - دمشق - سوريا - د.ت - ص 138.

(7) - الرحلات المغربية والأندلسية - ص 74.

(8) - نيل الابتهاج بتطريز الديباج - ج 2 - ص 362.

(9) - أبو محمد عبدالله التجاني - رحلته - تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب - الدار العربية للكتاب - ليبيا تونس - 1981 م - ص 241 وما يليها - مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 320.

بدأ ابن رشيد السبتي (ت 721 هـ / 1321 م) رحلته في سنة 683 هـ / 1284 م إلى المشرق للقاء أهل العلم وكتابه " ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيعة إلى الحرمين مكة وطيبة " ويضم ستة مجلدات , وقد تعددت نسخها الأمر الذي يدل على أهميتها .⁽¹⁾

ومن أبرز الرحالة في القرن الثامن الهجري ابن جابر الوادي الآشي (ت 749 هـ / 1348 م) تونسي المولد ويعرف بصاحب الرحلتين , كانت رحلته الأولى في سنة 720 هـ / 1320 م , والثانية في سنة 734 هـ / 1333 م) وشملت رحلته المشرق والمغرب وبلاد الأندلس , ويحتوي برنامج رحلته على أسماء شيوخه وأنسابهم وتواريخ ميلادهم ووفياتهم وسند إجازاتهم .⁽²⁾

استغرقت رحلة ابن بطوطة الطنجي (770 هـ / 1368 م) ربع القرن أو أكثر وبلغ في رحلته المشرق الأقصى وأفريقيا الغربية , وقد تولى مهمة القضاء التي تعتبر شغل آبائه في بعض الأقاليم التي استقر بها , وسمع عن كبار العلماء والفقهاء والوعاظ , وبدأت رحلته في سنة 725 هـ / 1324 م , وعاد إلى فاس في سنة 750 هـ / 1349 م , وقد قسم بعض المؤرخين رحلته إلى ثلاث رحلات , وتسمى بـ " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " , ويعد ابن بطوطة مؤرخاً اجتماعياً وسياسياً ونظراً لأهمية رحلته ترجمت إلى عدة لغات .⁽³⁾

لم تقتصر المعلومات التي وردت في كتب الرحلات على تدوين أحداث المغرب فحسب بل سجل الرحالة كل مشاهداتهم والأحداث التي عاصروها في بلدان المشرق مثل كتاب " الرحلة المغربية " لأبو عبدالله محمد الحاحي (كان حياً في سنة 688 هـ / 1289 م) حيث شملت رحلته الشمال الأفريقي ومصر والحجاز وبيت المقدس وقد تضمنت معلومات متنوعة وكان دقيقاً في أحكامه مركزاً على تسجيل الحالة الاجتماعية والدينية للبلدان الإسلامية , ولكنه يؤخذ عليه كثرة ذمه للناس وأخلاقهم .⁽⁴⁾

يمكن القول أن فن الرحلة المغربية قد أنتج أهم الكتابات التاريخية والاجتماعية والثقافية وكذلك الاقتصادية في القرن الثامن الهجري لأنه أصبح فناً قائماً بذاته تنوعت أغراضه وتعددت مواضيعه , وكان القاسم المشترك بين هذه الكتب برنامج التراجع , والوصف الدقيق للعمران ومراحل السفر , لذلك تعد كتب الرحلات من مصادر التاريخ الإسلامي المهمة , وتمثل مرحلة من مراحل تطور الكتابة التاريخية في تلك الفترة .

(1) - الرحلات المغربية والأندلسية . ص 111 - 112 .

(2) - عمر رضا كحالة - معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية - ج 9 - دار إحياء التراث العربي - د . ت - ص 146 .

(3) - أبو عبدالله محمد بن عبدالله الطنجي المعروف بابن بطوطة - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - تحقيق : محمد عبدالمنعم العريان - دار إحياء العلوم - بيروت - 1987 م - ص 15 وما يليها / حسن محمود حسين - أدب الرحلة عند العرب - ط 2 - دار الأندلس - 1983 م - ص 41 / الرحلات المغربية والأندلسية - ص 132 وما يليها .

(4) - أبو عبدالله محمد الحاحي العبدري - الرحلة المغربية - تحقيق : محمد الفاسي - وزارة التربية المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأهلي - الرباط - المغرب - 1968 . ص 3 وما يليها / مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 314 .

توجد بعض المؤلفات التي تناولت سيرة الرسول والمغازي في القرن الثامن الهجري ، ومن أهمها كتاب " تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية " لصاحبه علي بن محمد الخزاعي التلمساني (ت 789 هـ / 1387) .⁽⁵⁾

2. 5 كتب الموسوعات والقواميس والبرامج : تميز القرن الثامن بظهور نوع آخر من الكتابة التاريخية وهو كتب الموسوعات (ظاهرة تراكم المعرفة) وهي ذات أجزاء متعددة مثل كتاب " نهاية الأرب في فنون الأدب " للنويري (ت 733 هـ / 1332) وكتاب " صبح الأعشى في

صناعة الانشا " للقلقشندي (ت 821 هـ / 1418 م) وغيرها العديد من الكتب في بلاد المشرق .⁽¹⁾

فقدت معظم كتب الموسوعات التي تختص ببلاد المغرب في الفترة قيد الدراسة ، ومن أهمها : كتاب لأبي الفضل التجاني ابن عم صاحب الرحلة بعنوان " الناسم " وهو عبارة عن تراجم ومختارات لشعراء عصره ، و " الدرر النظيم في الأدب والتراجم " لعبدالله بن محمد التجاني صاحب الرحلة⁽²⁾ ، ومن الأعمال الموسوعية كتاب " أنس النساك المغرب عن فضائل علماء القيروان المغرب " لصاحبه إبراهيم بن يوسف القرشي الحسيني من القيروان ، و " تاريخ محمد الزرعي الجدميوي السبتي " وهو عمل موسوعي ضخم في نحو أربعين سفرًا في تراجم العلماء والأدباء مرتبة على حروف المعجم ، وكتاب " الكوكب الوقاد فيمن حل بسبته من العلماء والصلحاء والعباد " لمحمد بن أبي بكر بن عبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت 787 هـ / 1385 م) .⁽³⁾

ومن كتب الموسوعية المهمة كتاب " المغرب في جملة صلحاء المشرق والمغرب " لمحمد بن سعيد الرعيني الفاسي (ت 779 هـ / 1377 م) وهو من الكتب النادر ، حيث نقل مجموعات التراجم التي تتعدد فيها تراجم الصلحاء من المشرق والمغرب ، وكتاب " المسلسل العذب والمنهل الأصلي المرفوع للخلافة العزيرية في ذكر أربعين من صلحاء فاس ومكناس وسلا " لمحمد بن أبي بكر الحضرمي .⁽⁴⁾

برزت في القرن الثامن الهجري ظاهرة كتابة الفهارس والبرامج وكتب الببلوغرافيا التي تحتوي على أسماء الكتب ، وتعرف بموضوعاتها ومنها الكتب التاريخية⁽⁵⁾ ، وتتناول هذه الكتب أسماء الشيوخ والمواد التي درسها المؤلف أو من وضع البرنامج لأجله ، وقد تحتوي في بعض الأحيان على إشادة بالإجازات التي حصل عليها المؤلف بعد الدراسة ، وهي تعتبر تطوراً للحركة الثقافية والعلمية ومن أهمها في هذا القرن " معجم شيوخ فخر الدين التوزري عثمان بن محمد " و " برنامج الوادي آشي ابن جابر " و " برنامج ابن بحر " من شيوخ

(5) . مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 308 .

(1) . التدوين التاريخي عند المسلمين - ص

(2) . رحلة التجاني - المقدمة ص 16 وما يليها .

(3) . مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 271 .

(4) . عبد الرحمن الحريشي - الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي - ج 1 . الدار البيضاء - 1991 . ص 117 .

(5) . التدوين التاريخي عند المسلمين - ص 319 .

ابن خلدون⁽⁶⁾ ، وبرنامج " مشيخة الغبريني " الذي ألحقه بعنوان الدراية و " مشيخة المقرري الجد " محمد بن محمد " وملء العيبة لابن رشد السبتي محمد بن عمر ويضم عدة أجزاء ، ويعتبر من أضخم كتب الرحلات العلمية ، وبرنامج الرعيني الفاسي ، وكتاب ابن خلدون الملحق بتاريخه " التعريف بابن خلدون رحلته غرباً وشرقاً والذي ضمنه ووثق فيه شيوخه .⁽⁷⁾

يتضح مما سبق أن كتب البرنامج تعتبر بمثابة المذكرات الشخصية في وقتنا الحاضر تهتم بحياة المؤلفين وبخاصة العلمية منها ، حيث يذكر المؤرخ شيوخه الذين تلقى العلم عنهم ، وتدخل ضمن الكتابات التاريخية .

ظهرت في هذا القرن كتب تاريخية أطلق عليها " الذيل والتكملة " وهي عبارة عن كتب مختصرة لمصادر سابقة أو تذييلها أو تكملة لها يقوم المؤلف نفسه بعملية الاختصار أو التذييل⁽⁸⁾ ، ومن أهمها الذيل والتكملة لكتابي " الموصول والصلة " لصاحبه محمد بن محمد بن سعيد الأنصاري المراكشي المعروف بـ " ابن عبد الملك (ت 703 هـ / 1303 م) ، ويحتوي الكتاب على تراجم أندلسية ومغربية في مجموعة أجزاء وتكمن أهميته في أنه سجل أدبي يكشف بعض الغموض عن صور الفن الأدبي المغربي⁽¹⁾ ، ويتضح في كتابه مقدرته العلمية العالية ، ولغته المحكمة والقوية في التلاعب بالمفردات ، الأمر الذي يدل على تكوينه الأدبي المتين .⁽²⁾

3 - نماذج من المؤرخين والرحالة في هذا القرن : ستحاول الباحثة في هذا المبحث أخذ عينة ونماذج محددة على سبيل المثال لا الحصر لبعض هؤلاء المؤرخين والرحالة ، وإن كان البعض يعتبر هذا العصر عصر انحسار وتراجع للكتابة التاريخية إلا أنه مما سبق يتضح عكس ذلك فهذا الانحسار والتراجع كان مقتصرًا على تأليف الكتب الكبرى كتلك التي شهدتها الفترة ما قبل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وفي المقابل شهد هذا القرن تنوعاً في الكتابات التاريخية في منطقتي المشرق والمغرب الإسلاميين ، وتعددت أغراض الكتابة ما بين السياسة وتاريخ المدن والموسوعات ، وكتب الرحلات ، والتي تعتبر من المصادر الهامة لدراسة تاريخ المجتمعات بأوضاعها كافة .

3.1 العلامة المؤرخ ابن خلدون (732 . 808 هـ / 1332 . 1406 م) ولد ابن خلدون في تونس في أسرة أندلسية وافدة إلى تونس في أواسط القرن 7 هـ / 13 م ، وهو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون ، أصله من العرب اليمانية

(6) . مدخل إلى تاريخ العلوم - ج 1 - ص 274 .

(7) . الغبريني - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - تحقيق : محمد بن أبي شنب - دار البصائر - الجزائر 2006 م - ص 72 وما يليها / عبد الرحمن بن خلدون - التعريف بابن خلدون رحلته شرقاً وغرباً - منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر - بيروت - 1979 م - ص 17 وما يليها .

(8) . التدوين التاريخي عند المسلمين - ص 271 .

(1) . الإحاطة في أخبار غرناطة - ج 2 - ص 527 .

(2) . محمد بن أحمد بن شقرون - مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني - دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب - 1995 م - ص 99 .

(3) وما يهمننا في هذا الجانب هو آثار ابن خلدون وإضافته التاريخية ، أما فيما يتعلق بحياته وأسفاره والمناصب التي تقلدها فهي موجودة بين طيات الكتب . (4)

يعتبر ابن خلدون من مجددي أسلوب الكتابة التاريخية في القرن الثامن الهجري ويتضح ذلك في كتابه الموسوعي " العبر وديوان المبتدأ والخبر " ، والذي تظهر فيه منهجيته العلمية وروحه الناقدة ، من خلال استقراء الأحداث التاريخية و تحليلها (5) ، وقد احتوت مقدمة كتابه على فصول في فضل علم التاريخ وأهميته ، ومواضيع تتعلق بال عمران والتجارة ومختلف العلوم الأخرى ، وفي المقدمة آراء وأفكار تدل على قوة شخصيته ونبوغه العلمي إذ تعتبر هذه المقدمة من أعظم المؤلفات في ذلك العصر وأهمها فهي تساعد في فهم التاريخ ونقده وتحليله . (6)

تكمن أهمية المقدمة في ما احتوته من تاريخ للمؤسسات الإسلامية ، وكذلك تركيزه على نمو المجتمعات والدول وعوامل انحطاطها ، فأنشأ بذلك علماً جديداً يتمثل في فلسفة التاريخ المرتكزة على العلم والتجربة والعقل (7) ، ومن الجدير ذكره أن ابن خلدون قد أنجز موسوعته التاريخية [العبر] بتونس بناءً على رغبة السلطان الحفصي أبي العباس أحمد الحفصي (772 - 796 هـ / 1370 - 1394 م) وتناول في تاريخه أخبار الشعوب الإسلامية ، وركز على ذكر أحوال البربر ، وأوضاعهم المختلفة ، والأنظمة الحاكمة ، وقد حاول من خلال كتابه الوصول إلى العالمية ، وكانت كتابته عن تاريخ المغرب الكبير مميزة في المنهج ومعالجة النصوص التاريخية وبخاصة في المجلدين السادس والسابع . (8)

يرى المؤرخ روبر بارانشفيك أن ابن خلدون لم يبرز شيئاً من نظرياته التي قيدها في المقدمة عند عرضه التاريخي لأحداث المشرق ، ولكنه كان موفقاً في ذلك في الأجزاء الخاصة بالمغرب الإسلامي وبخاصة عند حديثه عن القبائل العربية والدول البربرية (1) ، ولابن خلدون كتاب آخر اسمه " التعريف بابن خلدون رحلته غرباً وشرقاً " عرف فيه بنفسه ، وعني بذكر شيوخه ومعلميه وترجم لهم ، وذكر مؤلفاتهم ، ووثق أهم الكتب التي درسها . (2)

3 - 2 ابن القنفذ القسنطيني (740 - 810 هـ / 1340 - 1407 م) : هو أحمد بن الحسن الخطيب القسنطيني الشهير بابن الخطيب ، ولد بقسنطينة ، وتلقى تعليمه فيها وفي بجاية وتونس وتلمسان (3) ، وقد كانت علاقته بالدولة الحفصية متينة وبخاصة في قسنطينة ، فجمع في تكوينه العلمي بين تواجده في أسرة علمية وأخرى حاكمة ، الأمر الذي أهله لتولي منصب القضاء والإفتاء داخل

(3) . محمد عبدالله عنان - ابن خلدون حياته وتراثه الفكري - ط2 - المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة - القاهرة . 1953 م - ص 13 وما يليها .

(4) . ينظر المرجع نفسه - ص 15 وما يليها / تاريخ إفريقية في العهد الحفصي - ج 2 - ص 405 وما يليها

(5) . مصادر تاريخ المغرب والأندلس - ص 46 .

(6) . ابن خلدون حياته وتراثه الفكري - ص 114 .

(7) . تاريخ إفريقية في العهد الحفصي - ج 2 - ص 409 .

(8) . مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 301 - 302 .

(1) . تاريخ إفريقية في العهد الحفصي - ج 2 - ص 411 - 412 .

(2) . التعريف بابن خلدون رحلته غرباً وشرقاً - ص 10 وما يليها / نيل الانتهاج بتطريز الديباج - ج 1 - ص 252 / المؤرخون والتاريخ عند العرب - ص 96 .

(3) . محمد حجي - موسوعة أعلام المغرب - ج 1 - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 1996 - ص 9 .

الدولة الحفصية , ولديه مؤلفات وكتب في التراجم والسياسة والأنساب , ومن أشهر مؤلفاته " الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية " والذي أهداه للسلطان أبي فارس الحفصي .⁽⁴⁾

ألف ابن القنفذ كتباً متعددة ومن أشهرها كتاب " أنس الفقير وعز الحقيير " وهو عبارة عن تراجم لحياة الشيخ أبو مدين , وكتاب " تحفة الوارد في اختصاص الشرف قبل الوالد " وهو من كتب الأنساب , وكتاب " الوفيات " ويحتوي على تراجم للعلماء وبخاصة المحدثين مرتبة على حسب السنين ⁽⁵⁾ , ويعتبر منهجه في الكتابة دقيقاً على الرغم من إيجازه , ومع ذلك فإن كتبه لا تخلو من القيمة العلمية وبخاصة كتابه الفارسية , والذي دون أحداثه من خلال وثائق الدولة الحفصية فجاءت تواريخه مضبوطة , واشتمل على العديد من المظاهر الخاصة بقسنطينة .⁽⁶⁾

تميز ابن القنفذ ببراعة ومقدرة عظيمة في استقصاء التاريخ وكتابة التراجم والسير , وله كتب أخرى في التاريخ منها : " طبقات علماء قسنطينة " و " المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدية " و " إدرسية النسب في الأمصار والقرى والعرب " ⁽⁷⁾ , وقد كان لتفوق ابن القنفذ العلمي والأدبي دور إيجابي انعكس على كثرة مؤلفاته , حيث لديه قرابة الثلاثين كتاباً في التاريخ والفقه , والمنطق والفلك , والحساب والحديث والأدب حتى صارت لديه بصمة مميزة وواضحة في مجال الكتابة والتدوين في هذا القرن , وزاحم بثقافته ومؤلفاته المختصين في مجال العلوم والفنون .⁽⁸⁾

يتضح مما سبق أن ابن القنفذ القسنطيني كان من الشخصيات المميزة بتنوع كتاباته ما بين الفقه والأدب والتراجم والتاريخ , ومن الجدير بالملاحظة أن أغلب من كتبوا التاريخ في هذه الفترة قد جمعوا بين خطتي الكتابة والقضاء , الأمر الذي تولد عنه تنوع وتعدد أغراض الكتابة .

3 - 3 يحيى بن خلدون (ت 780 هـ / 1378 م) : وهو من كتاب البلاط الزياني , وقد سبق له العمل في البلاط الحفصي والمريني , وكان قد تقلد كتابة السر داخل البلاط الزياني الأمر الذي أثرى رصيده المعرفي والثقافي , وله كتاب في التاريخ السياسي يعتبر من أهم المصادر في تاريخ الدولة الزيانية بعنوان " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني الواد " وقد اطلع على وثائق الدولة الزيانية والحفصية والمرينية الأمر الذي استفاد منه في كتاباته التاريخية .⁽¹⁾

قسم يحيى بن خلدون كتابه إلى ثلاثة أقسام : يحتوي كل قسم على ثلاثة أبواب وانتهت حوادثه في أواخر سنة 776 هـ / 1374 م , أي قبل مقتله بأربع سنوات , نظم أحداثه ورتبها بحسب السنوات , وتميز أسلوبه بدقة الوصف , وبراعة التصوير , وبرع في اختيار

(4) - تاريخ إفريقية في العهد الحفصي - ج 2 - ص 414 .

(5) - ابن قنفذ ومنهجه في كتابة التاريخ - ص 237 .

(6) - تاريخ إفريقية في العهد الحفصي - ج 2 - ص 414 .

(7) - العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7-9 هـ / 13-15 م - ص 282 .

(8) - عبد العزيز فيلاي - أبرز علماء قسنطينة خلال العهد الحفصي ق 7 هـ / 10 هـ - مجلة جامعة قسنطينة - دار نومديا - الجزائر - 1990 م - ص 28 .

(1) - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - ج 1 - ص 79 / العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط - ص 277 .

الألفاظ ومزجها بالمحسنات البديعية⁽²⁾، وقد احتوى الكتاب على تراجم لعدد من أعلام تلمسان والنازلين بها، وذكر الأنساب البربرية، ودول المغرب التي تعاقبت على حكم منطقة المغرب الأوسط بدءاً بالأدارسة ووصولاً إلى دولة الموحدين، وتطرق إلى العلاقة بين دولتي بني زيان وبني مرين، وتضمن الكتاب وصفاً للدولة الزيانية من النواحي السياسية والأدبية، معتمداً على محفوظات الدواوين ومشاهداته الخاصة، وبذلك يعتبر كتابه الأكثر أهمية في تاريخ الدولة الزيانية⁽³⁾، وقد عاصر يحيى بن خلدون السلطان الزياني أبو حمو، وكان مقرباً منه، وأحتوى كتابه تفصيلاً لعصره، حيث بالغ في مدحه، ومدح سلاطين الدولة كلهم، ولم يبرز عيوبهم⁽⁴⁾.

يتضح مما سبق حرص الذين تولوا مهمة كتابة السر والفقهاء على التأليف وتدوين تاريخ الدول التي عاصروها، وربما كان ذلك بدافع التقرب من الحكام أو طمعاً في تولي مناصب سيادية معينة، وذلك لا ينفي عن هذه الكتب مصداقيتها أو أهميتها، لأنها تعد آثراً شاهداً على تاريخ المغرب الإسلامي والتي لولاها لما تعرفنا على خفايا وأسرار وأحداث هذه الدول، واشتملت هذه الكتب على مناهج ونظريات جديدة في مجال علم التاريخ.

3. 4 أبو عبدالله محمد بن مرزوق الخطيب (711 . 781 هـ / 1301 . 1379 م) : ولد بتلمسان في سنة 711 هـ / 1311 م، وارتحل مع والده لأداء فريضة الحج وزار مكة والمدينة والقدس والاسكندرية والقاهرة، وقد استفاد من هذه الرحلة في طلب العلم ولقاء أهله، وسمع عن كبار الفقهاء والأئمة، ثم عاد إلى المغرب، ووصل تلمسان في سنة 737 هـ / 1337 م⁽⁵⁾.

أثرى ابن مرزوق الخطيب علم التاريخ بمؤلفاته الكثيرة والمتنوعة، ومن كتبه في التراجم كتاب "عجالة المستوفر المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز" والذي أثبت فيه العلماء والمشايخ الذين تلقى تعليمه عنهم، ويبلغ عددهم حوالي الألفين من الأئمة والقضاة والعلماء في المدن التي ذكرها في العنوان⁽⁶⁾.

ومن الآثار المهمة لابن مرزوق كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن" الحاكم المريني الذي تمكن من السيطرة على تلمسان، ويحتوي الكتاب على مقدمة تشمل عدة فصول نوه فيها بسيرة أسلاف أبي الحسن، أما المتن فهو يضم خمسة وخمسين باباً تتحدث عن خصال وصفات السلطان أبي الحسن، وترصد مآثره في مختلف الميادين وأعماله في بلاد الأندلس⁽⁷⁾، كما لا يمكن أغفال أهمية الكتاب فيما يتعلق بالأنظمة والحياة الفكرية، والقيم الدينية والأخلاقية التي كانت سائدة في

(2) - تلمسان في العهد الزياني - ج 2 - ص 467 .

(3) - المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث - ج 1 - ص 102 .

(4) - محمد أبو عياد - من آثارنا المغمورة بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد زكريا يحيى بن خلدون - مجلة الأصالة - ع 13 - السنة الثالثة - 1973 م - الجزائر - ص 221 .

(5) - محمد بن مرزوق التلمساني - المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن - تحقيق : ماريا خسيوس بيغيرا - تقديم محمود آغا بو عياد - موفم للنشر - الجزائر - 2011 م - ص 22 . 23 .

(6) - الإحاطة في أخبار غرناطة - ج 3 - ص 105 .

(7) - المسند الصحيح - ص 125 وما يليها .

المجتمع التلمساني والفاسي ⁽¹⁾ , وهدف ابن مرزوق من وراء تأليفه إلى مدح السلطان وتخليد ذكره والثناء على مزاياه , ويحتوي الكتاب على معلومات قيمة نظراً لإحاطة ابن مرزوق الثقافية , ومعاصرته للسلطان أبي الحسن ومشاركته في أحداث تلك الفترة . ⁽²⁾

من مصنفات ابن مرزوق كتاب " المجموع " أو الديوان ويعرف كذلك " بالمناقب الزروقية " وهو من كتب التراجم , وقد تضمن السيرة الذاتية لأسرته ونفسه , ووثق الأحداث التي عاصرت وجودهم سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية , ولم يقتصر حديثه على تلمسان فحسب بل شمل كتابه كل حواضر المغرب والمشرق في القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين , وجاء كتابه هذا في أسلوب بسيط وسهل خالٍ من التعقيدات . ⁽³⁾

أضاف ابن مرزوق الجديد إلى حقل الكتابة التاريخية في القرن الثامن الهجري , من خلال كتابه المسند , فشهد التاريخ المغربي ظاهرة التأريخ للشخصيات السياسية والعلمية وكان ذلك من مميزات الكتابة التاريخية في هذا القرن .

3 - 5 ابن أبي زرع الفاسي (ت 726 هـ / 1325 م) : هو أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي , مؤرخ مغربي وله كتاب بعنوان " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " وجاءت مقدمته خالية من تسمية المؤلف لنفسه , ويعد هذا الكتاب من المصادر الهامة في التاريخ المغربي , يتناول تاريخ المغرب الأقصى من بداية دولة الأدارسة في سنة 172 هـ وحتى سنة 726 هـ ويتوقف في سرده للمعلومات عند عهد السلطان المريني أبي سعيد الأول . ⁽⁴⁾

بحث ابن أبي زرع عند كتابته لتاريخ دول المغرب عن نسب مؤسسي هذه الدول وحياتهم وأسباب قيام دولهم , ثم ينتقل للحديث عن الحكام ويسرد سيرهم بأسلوب دقيق , ويسجل الأحداث التي وقعت على أيامهم , ثم يعقب في منهج جديد عند نهاية كل عصر بذكر وفيات الشخصيات , وثبت تراجم وجيزة لبعض العلماء , وتضمن بعض المعلومات الاجتماعية ⁽⁵⁾ , وقد تخلل كتابه ذكر للحوادث والكوارث الطبيعية , والتطورات الاقتصادية , ورجع عند تأليفه للكتاب إلى عدة مصادر مثل " المن بالإمامة " لابن صاحب الصلاة , وكتاب " الإكليل " للهمذاني , حيث رتب ابن أبي زرع أحداث التاريخ في كتابه بحسب تسلسل الدول , ثم راعى تسلسل الأحداث في عصر كل منها . ⁽⁶⁾

من مؤلفات ابن أبي زرع المهمة في تاريخ المغرب الإسلامي كتابه " الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية " وقد خصصه لسرد تاريخ دولة بني مرين بداية بنسبهم ومروراً بظروف قيام دولتهم , ثم تتبع ملوكهم والأحداث التي وقعت على أيامهم حسب التسلسل

(1) - المصدر نفسه . ص 155 . / تلمسان في العهد الزياني - ج 2 - ص 467 .

(2) - العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط - ص 279 .

(3) - تلمسان في العهد الزياني - ج 2 - ص 468 .

(4) - المصادر العربية لتاريخ المغرب الإسلامي - ج 1 - ص 70 / مصادر تاريخ المغرب والأندلس - ص 57 .

(5) - الأنيس المطرب بروض القرطاس - ص 80 وما يليها . / المصادر العربية لتاريخ المغرب الإسلامي - ج 1 - ص 70 .

(6) - مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 304 .

الزمني , ووجدت بين دفات الكتاب معلومات مهمة عن الحياة الاقتصادية , حيث وثق أسعار السلع الغذائية , وتحدث عن أوضاع الناس الاجتماعية وبخاصة في عهد يعقوب بن عبد الحق المريني .⁽⁷⁾

وبذلك يكون ابن أبي زرع من المؤلفين المغاربة الذين تركوا بصمة في مجال الكتابة التاريخية , حيث ركز في كتاباته على التدوين والتأريخ للدول التي قامت في بلاد المغرب الأقصى ومع ذلك توجد العديد من المعلومات التي تخص بلاد المغرب كوحدة واحدة , وقد اتبع في منهجه التسلسل الزمني والتاريخي للدول , ويظل كتابه " روض القرطاس " من الكتب المهمة لغزارة مادته وتنوعها .

3- 6 لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ / 1374 م) : يرجع أصله إلى بلاد الأندلس من مدينة لوشة , ولد في سنة 713 هـ , وتلقى دراسته بمدينة غرناطة , وكان يتمتع بالذكاء والتفوق العلمي , وقد جمع بين علوم كثيرة مثل الفقه , والأدب والشعر , والفلسفة والتاريخ والتصوف , واشتغل بالوزارة في دولة بني الأحمر .⁽¹⁾

انتقل ابن الخطيب إلى بلاد المغرب بصفة رسمية كسفير أوفده السلطان يوسف بن الأحمر في سنة 748 هـ إلى السلطان أبي عنان المريني , ثم أوفد مرة أخرى إلى دولة بني مرين في سنة 755 هـ لطلب النجدة منهم ضد النصارى وقد نجح ابن الخطيب في أداء مهمته , ثم عاد إلى بلاد المغرب مرة ثالثة ووفد على السلطان المريني أبي سالم الذي أكرمه , فاستغل ابن الخطيب وجوده بالمغرب واتصل بكبار العلماء والأدباء وذوي الكرامات .⁽²⁾

تنوعت كتابات لسان الدين بن الخطيب , فشملت الدول , المدن , والتراجم والسير والطب , ولم يبقَ منها إلا الثلث , ويعتبر كتابه " الإحاطة في أخبار غرناطة " من أهم مؤلفاته التاريخية , وقد ترجم فيه لرجال السيف والقلم ممن نشأوا في غرناطة , وجاءت أخباره وافية عن رجال بني نصر وأشار فيه إلى من عاصر ملوك بني نصر في المغرب وتونس وإسبانيا⁽³⁾ , واشتمل كتابه الإحاطة على أخبار مدينة غرناطة وجغرافيتها ومحاسنها وذكر عادات أهلها وأزيائهم فكان عمله هذا بمثابة الموسوعة المتكاملة , وختم كتابه بترجمة لنفسه .⁽⁴⁾

يعتبر كتاب ابن الخطيب " اللوحة البدرية في الدولة النصرية " من أهم مؤلفاته , وهو عبارة عن دراسة لمملكة غرناطة , وكتاب أعمال الأعلام والذي يعد من أهم المصادر الإسلامية ويشتمل على تاريخ الأمويين والعباسيين , ودول المشرق والممالك البحرية والدولة العلوية بمكة والمدينة , وتاريخ الأندلس وتاريخ المغرب , وقد عالج مادة الكتاب بشمولية وكثير من التوسع , ويعتبر من الكتب النادرة .⁽⁵⁾

(7) علي بن أبي زرع الفاسي . الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية . دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط - المغرب . 1972 م . ص 95 .

(1) . مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني - ص 112 .

(2) . مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني - ص 112 .

(3) . حربي عباس عطيتو محمود وحسان حلاق . العلوم عند العرب أصولها وعلامتها الحضارية - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان . 1995 م . ص 401 .

(4) . الإحاطة في أخبار غرناطة . ج 2 . ص 323 .

(5) . مصادر تاريخ المغرب والأندلس - ص 41 .

لم تقتصر مؤلفات ابن الخطيب على التاريخ ، حيث أولى عناية بالسير والتراجم ولديه كتاب بعنوان " الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة " ترجم فيه لعدد من القضاة والخطباء والمدرسين ، في حين ركز في كتابه " معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار " على دراسة تاريخ مدن المغرب والاندلس⁽⁶⁾ ، ولابن الخطيب مؤلفات على شكل مراسلات بين ملوك غرناطة وملوك بني مرين ومنها " ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب " و " كناسة الدكان بعد انتقال السكان " وهذان الكتابان عبارة عن رسائل سلطانية ، ويدعو المؤرخ ابن الخطيب من خلال مؤلفاته الكثيرة إلى ضرورة انفتاح التاريخ على بقية العلوم ، ويرى أن التاريخ ليس مجرد سرد الأحداث السياسية وسير الملوك وإنما هو ذكر دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية أي كل ما يخص حياة عامة الشعب ، واهتم ابن الخطيب بالتأريخ لمعظم دول الإسلام في المشرق والمغرب من خلال كتابه " رقم الحلل في نظم الدول .⁽¹⁾

يتضح مما سبق تنوع الموضوعات التي كتبها ابن الخطيب ، حيث طور منهج الكتابة المغربية ، وقد تعددت المواضيع التي تناولها بالبحث بين التاريخ العام والمراسلات السلطانية ، وتراجم الأعلام وتاريخ المدن ، فقد ترك منهجاً جديداً في الكتابة يضاف إلى المناهج التي سبقته .

3- 7 التجاني (ت 717 هـ) : هو أبو عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني ، ولد بتونس وأصل أسلافه من المغرب الأقصى ، وقد دخل عدد من أفراد أسرته في خدمة المخزن ، وكان والده وأبناء عمومته من أهل العلم والأدب والفقه ، واتيح لعبدالله التجاني كل ما يحتاجه من معارف وفرص لطلب العلم ، وقد انخرط التجاني في ديوان الإنشاء ابتداءً من أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .⁽²⁾

غادر التجاني مع الأمير ابن اللحياني في رحلة داخل المملكة الحفصية ثم قصد طرابلس ، وأقاموا بها مدة وواصل ابن اللحياني مسيره قاصداً الحج بينما عاد التجاني إلى تونس في سنة 708 هـ⁽³⁾ ، وقد كانت المدة التي قضاها التجاني مع ابن اللحياني ذات منفعة للتاريخ ، حيث كان يقيد ويدون الأخبار والمشاهدات بأسلوب سهل ، وشملت رحلته أراضي تونس وقابس وتوزر ثم زار ليبيا فخرج على زواره وصبرا ومن ثم طرابلس ومصراته ، وقد اهتم في رحلته بترجمة لأصحاب الأدب والعلم ، واعتنى بذكر الأنساب ، فكانت رحلته مصدراً للتاريخ والأدب والأنساب .⁽⁴⁾

(6) . المرجع نفسه - ص 42 - 43 .

(1) . المؤلفات التاريخية ودورها في تعزيز الوحدة بين المغرب والاندلس - ص 699 / المصادر العربية لتاريخ المغرب - ص 99 .

(2) . مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 320 .

(3) . رحلة التجاني - ص 4 وما يليها .

(4) . الجغرافيا والرحلات عند العرب - ص 203 .

سجل التجاني مشاهداته ومعلوماته عن كل مدينة توقف بها ، ووثق معلوماته عن كل عالم أو فقيه التقى به ، ودون أخبار الصوفية ووصف المعالم الأثرية ، فجاءت رحلته متنوعة الأخبار ⁽⁵⁾ ، وتعد رحلته من أهم مصادر تاريخ طرابلس الغرب في فترة التبعية الحفصية ، حيث احتوت على مادة جيدة وفي المقابل صممت كتب الرحلات الأخرى عن ذكر هذه الأحداث إلا فيما ندر ⁽⁶⁾ .

تتعلق آثار التجاني بعدة فنون ومنها : " الوفا ببيان الشفا " وهو شرح في أربعة أسفار لكتاب القاضي عياض ، و " تحفة العروس ونزهة النفوس " وهو كتاب أدبي يرتبط بالمرأة ، و " الدر النظيم في الأدب وأعلام العصر الحفصي " و " نفحات النسرین في مخاطبة ابن شبرين " وهو سفر كبير يضم المراسلات المتبادلة بينه وبين الأديب السبتي الأندلسي ابن شبرين ، وله كتاب " الكرامة في كرامة العلامة " وهو كتاب يتناول خطة العلامة ويعتبر من كتب النظم السياسية ، إضافة إلى كتابه المعروف به وهو رحلته ⁽⁷⁾ .

يتضح ميول التجاني إلى كتابة الأدب ، واعتنى كذلك بكتابة التاريخ وتدوين النظم السياسية السائدة في عصره ، ويمكن اعتبار تسجيل المراسلات بين الرحالة والعلماء في دفاتر أو سجلات من مميزات الكتابة التاريخية في ذلك العصر ، وقد اهتم بهذا النوع العديد من المؤرخين الرحالة أمثال التجاني وابن الخطيب .

3- 8 ابن بطوطة الطنجي (703 - 779 هـ / 1303 - 1377 م) : يسمى بـ (شيخ الرحالة) وهو من أعظم الرحالة المسلمين ، جاب في رحلته بلدان الأرض مشرقاً وغرباً ، وأفريقيا وآسيا ، ووصل في رحلته بلداناً خارج ديار الإسلام ، واستمرت رحلته حوالي الثلاثين سنة ⁽¹⁾ ، وقد بدأ رحلته في رجب سنة 725 هـ ، وانتهت بوصوله إلى فاس في سنة 754 هـ ، وهي في واقع الأمر مجموعة من الرحلات وأطلق عليها رحلة لأنه لم يرجع إلى مسقط رأسه المغرب إلا بعد انتهائها ، وكتابه الذي دون فيه مشاهداته والمعلومات التي جمعها يسمى " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " ⁽²⁾ .

تولى ابن بطوطة مهمة القضاء في بعض البلدان التي زارها واستقر بها ، فتوسعت مداركه الفقهية ، حيث استدعاه السلطان المريني أبو عنان إلى فاس في سنة 756 هـ ، لإملاء رحلته على الفقيه محمد بن جزري والذي توفي بعد تدوينها بفاس في سنة 757 هـ ⁽³⁾ ، وقد تحدث في رحلته عن ثلاث رحلات قام بها ، الأولى كانت صوب مكة لغرض الحج ، وزار فيها مصر والشام وبلاد العرب والعراق وبلاد ما وراء النهر ، أما الثانية فكانت إلى بلاد الأندلس وقضى فيها شهوراً ، ثم قام برحلته الثالثة والتي اتجه فيها ناحية بلاد السودان الغربي ، وبلغ فيها أعالي نهر النيجر ، وتعد رحلته من أهم كتب الرحلات في العصور الوسطى لاتساع ميدانها ، حيث قطع فيها قرابة المائة والعشرين ألف كيلو متر ⁽⁴⁾ .

(5) - حسن حسني عبدالوهاب - وقات عن الحضارة العربية بإفريقية - ج 3 - الدار العربية للكتاب - تونس - 1972 - ص 147 وما يليها .

(6) - رحلة التجاني - ص 242 - 243 وما يليهما .

(7) - مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 320 .

(1) - التدوين التاريخي عند المسلمين - ص 368 .

(2) - ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - تقديم : محمد عبدالمنعم العريان - راجعه : مصطفى القصاص - ج 1 - دار إحياء العلوم - بيروت - 1987 م - ص 9 .

(3) - مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم - ج 1 - ص 325 .

(4) - العلوم عند العرب أصولها وملاحمها الحضارية - ص 362 .

تبين رحلته أحوال العالم الإسلامي ، حيث دفعه حب الاستطلاع للتعرف على غرائب وعجائب البلدان ، وكان شديد الاهتمام بالناس على مختلف طبقاتهم ، فاحتوت رحلته على العديد من الموضوعات الاجتماعية ، ونظراً لأهميتها ترجمت إلى اللغة الانجليزية والفرنسية ⁽⁵⁾ ، وما يلفت الانتباه في رحلة ابن بطوطة أنه فقد أوراقه التي كتبها أثناء رحلته ، لذلك أملى الرحلة على ابن جزي من الذاكرة ، لذلك جاء بعض الاضطراب في أحداثها ، ومن خصائص صاحب الرحلة أنه كان قليل الحفاوة بالمدن ، وعظيم الاهتمام بالناس وبخاصة العلماء ومن هنا يمكن القول بأنه كان مؤرخاً اجتماعياً ⁽⁶⁾ .

أبرز المؤرخ محمود إسماعيل أهمية رحلة ابن بطوطة في دراسة الطرق الصوفية ، حيث ذكر أن الرحلة احتوت على معلومات مستفيضة عن الزوايا والأربطة في سائر مدن العالم الإسلامي الشرقي ، فلذلك تعتبر ذات أهمية حيث تكشف عن حقيقة التواصل الحضاري بين جناحي العالم الإسلامي ، بالرغم من الضعف السياسي والانحيار الاجتماعي والتدهور الاقتصادي ⁽⁷⁾ ، وقد كان ابن بطوطة دقيقاً في ملاحظاته ، وتميز ببراعة في وصف ما شاهده ، ورواية ما سمعه ، ولكنه لم يكن ناقداً ، لذلك وقف بعض المؤرخين موقف المستغرب من أخبار رحلته ، ونعته بعضهم بالكذب ⁽⁸⁾ .

ومما يلفت الانتباه في أمر هذه الرحلة أنها احتوت على معلومات قيمة لا حصر لها ، ولا شك أن تدوينها وإملاءها من الذاكرة شيء يدعو للإعجاب ، ومن جهة أخرى يدل على سعة أفق ابن بطوطة ودقة مشاهداته وبخاصة أن فترة رحلته تجاوزت ربع قرن من الزمان وشملت أقطاراً وأمصاراً لم يصلها أحد من قبله ولولاه لما عُرف عن أخبارها شيء في تلك الفترة ، ويكفي المغرب الإسلامي فخراً بهذا الرحالة الذي برهن على أن التاريخ ليس أحداثاً سياسية فقط وإنما التاريخ الذي يستحق التدوين والدراسة هو تاريخ المجتمعات والناس على مختلف طبقاتهم وأجناسهم .

الخاتمة : يتضح مما سبق عرضه عن موضوع حركة التدوين والكتابة التاريخية في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي أن هذا القرن كان عصر تنوع وتعدد في أغراض الكتابة التاريخية ، حيث أسهمت العديد من العوامل في الدفع بحركة التدوين إلى الازدهار من أبرزها : ظهور أدب الرحلة المغربية إلى المشرق ، سواء أكانت للحج أو طلب العلم ، ويلاحظ أن أغلب من ارتحل إلى المشرق قد تقلدوا وظيفة القضاء في تلك الدول ، فازداد نبوغهم وتوسعت مداركهم ، كما كان للحكام دور في تشجيع المؤرخين وحثهم على الكتابة ، ناهيك عن الأسباب الأخرى مثل دور الهجرات الأندلسية إلى بيئات المغرب في تطور فنون الكتابة ، ولا يستثنى من ذلك تأثير الأحداث السياسية التي تمر بها المنطقة في التشجيع على التأليف والتنافس بين الدول المغربية في زيادة الانتاج وغزارته .

(5) - الرحلات المغربية والأندلسية - ص 133 .

(6) - الجغرافيا والرحلات عند العرب - ص 189 . 190 .

(7) - محمود إسماعيل عبد الرزاق - دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي - سينا للنشر - القاهرة - 1994 م - ص 73 - 74 .

(8) - تحفة النظر في غرائب الأمصار - ج 1 - ص 30 .

تنوعت الموضوعات التي تناولتها الكتب التاريخية , فشملت التاريخ السياسي العام , وتاريخ المدن , وكذلك ظهرت كتب تاريخية تختص بدراسة شخصيات سياسية منفردة , وكما ظهرت كتب خاصة بالأنساب والتراجم , التي ترجمت للعلماء والفقهاء , كما تميز القرن الثامن الهجري بظهور كتب القواميس والموسوعات وكتب المناقب , والرحلات وهذه الأخيرة برهنت على تميزها من خلال إضافتها الرائعة لحقول التاريخ الاجتماعي والثقافي , ويمكن التوصل إلى بعض النتائج من خلال هذه الدراسة من أهمها :

- 1 - الدور المهم لحكام بلاد المغرب في تشجيع حركة التأليف والتدوين التاريخي .
- 2 - أهمية الرحلة في صقل العلماء والمؤرخين والفقهاء وتوسيع مداركهم العقلية ونبوغهم العلمي .
- 3 - ظهور الكتب التي تحتوي على إشارات مهمة فيما يخص حياة الناس اليومية وطبقة العامة لذلك يمكن القول أن كتابات هذا القرن كانت من أهم مصادر التاريخ الاجتماعي .
- 4 - ظهور كتابات خاصة بأصحاب السلطة , وكتب متخصصة في سير الفقهاء , وهذا النوع من الكتب المصدريّة المهمة لأن من كتبوها توفرت لديهم وثائق الدول وكانوا مقرّبين من البلاط الحاكم .
- 5 - أغلب مؤلفات القرن الثامن نبعت من الفقهاء والمقرّبين من الساسة والحكام .
- 6 - أسهم مؤرخو وعلماء القرن الثامن الهجري في تطور أسلوب الكتابة ومنهجها العلمي من خلال صياغة نظريات جديدة في التاريخ وعلم الاجتماع , مثل ابن خلدون , وابن القنفذ , ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم .
- 7 - كان للوحدة التي جمعت بين المغرب والأندلس على أيام الموحدين والمرينيين من بعدهم دور مهم في صياغة تاريخ المغرب والأندلس كوحدة واحدة .
- 8 - تنوعت أغراض الكتابة التاريخية في هذا القرن فظهرت كتب تؤرخ لحاكم معين , وكتب تؤرخ لدولة محددة , وكتب تناولت تاريخ المغرب الإسلامي جملة واحدة .
- 9 - تميز القرن الثامن الهجري بغزارة كتب التراجم والمناقب والسير , ولعل ذلك يرجع إلى ظاهرة الاعتزاز بالأسر والأنساب , فأرخوا لشيوخهم وقيدوا تلاميذهم .
- 10 - احتوت كتب الرحلات على معلومات قيمة فيما يخص المجاعات وغلاء الأسعار , ووثقوا علماء الصوفية ووصفوا الزوايا .
- 11 - ظهر ابن بطوطة في رحلته كمؤرخ اجتماعي لأنه اهتم بأخبار الناس , وكان قريباً منهم وعاصر أيامهم , وشاهد حياتهم اليومية .
- 12 - تعتبر ظاهرة تسجيل المراسلات بين العلماء والرحالة من أهم مميزات الكتابة التاريخية في هذه الفترة .

- 13 - يتضح مما سبق ذكره أن القرن الثامن الهجري كان عصر ازدهار وتنوع في الكتابة التاريخية، ولم يكن عصر تراجع وأن اختفت الكتب الكبرى فقد ظهرت كتب الذيل والتكملة ، والاختصارات وظهرت القواميس وكتب الأنساب والمناقب والسير وكل ذلك انتاج لا يستهان به .
- 14 - مما يلفت الانتباه بعد دراسة هذا الموضوع أن أغلب الكتابات التاريخية في هذا القرن يجمع بينها التداخل والتنوع , فمثلاً نجد كتب الرحلات والكتب السياسية كلها تحتوي على تراجم وثبت بالأنساب وتواريخ ميلاد ووفيات للأعلام والحكام , وهذا يؤكد عناية مؤرخي بلاد المغرب بالأنساب والتراجم في الفترة قيد الدراسة .
- 15 - توصي الباحثة بدراسة الانتاج المغربي في هذا القرن، والتركيز على أسباب اهتمام القضاة والفقهاء بتدوين التاريخ هل هي دوافع لها علاقة بحب السلطة أم دوافع أخرى .